# فاروق شوشة

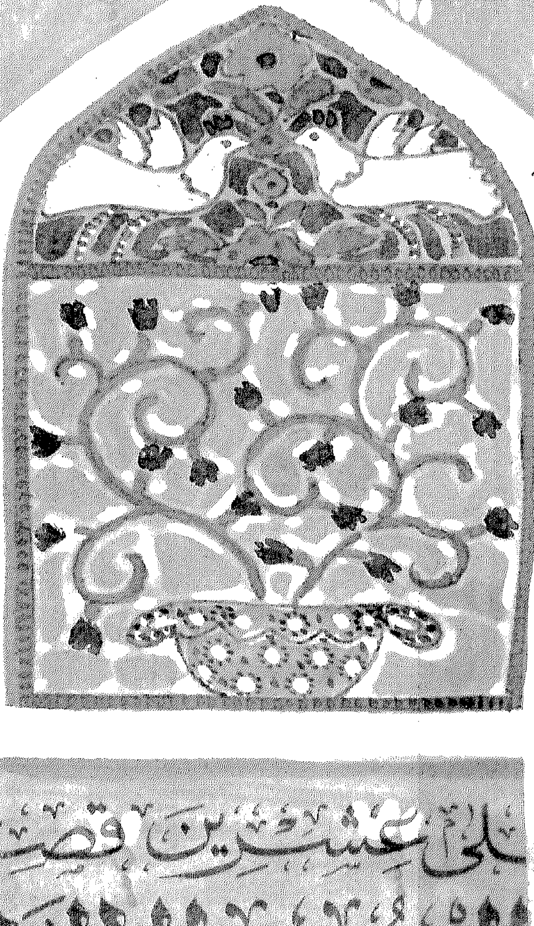

# لى عشرين قصيدة
# الحب الإلهى

دار الشروق

89
Bibliotheca Alexandrina
0160220

# أحلى عشرين قصيدة
# في الحب الإلهي

طبعة دار الشروق الأولى
١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤
برقيا : شروق ـ تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣
برقيا : داشروق ـ تلكس : SHOROK 20175 LE

فاروق شوشة

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم الاستمارة :
رقم التسجيل :

# أحلى عشرين قصيدة في الحب الإلهي

eneral Organization of the Alexandria Library ( GOAL )
Bibliotheca Alexandrina

دار الشروق

« لقد صار قلــبى قــابلاً كلَّ صــورةٍ
فمــرعى لغــزلانٍ وديرٌ لرهبان
وبيــتُ لأوثــانٍ ، وكعـــبةُ طـــائـفٍ
وألــواحُ توراةٍ ، ومصــحفُ قرآنِ
أديــن بــدين الحبِّ أنــىَّ توجّهــت
ركائبه ، فالحبّ دينى وإيمانى »

**ابن عربى**

# هذا الكتاب

هذه هي الحلقة الثانية فى سلسلة المختارات التى تهدف إلى تقديم عيون الشعر العربى ـ قديمه وحديثه ـ من خلال التفافها حول إطار معين ينتظم هذه المختارات ، أو تجربة شعرية كبرى ، مع التوقف بالتحليل والتأمل عند أبرز من تناولوها فى رحلة القصيدة العربية عبر العصور .

وإذا كانت الحلقة الأولى فى هذه السلسلة توقفت عند تجربة الحب فى الشعر العربى ، وحملت عنوان « أحلى عشرين قصيدة حب » فى هذا الشعر ، فإن هذه الحلقة الثانية تتقدم إلى ساحة أسمى من ساحات هذا الحب هى ساحة الحب الإلهى ، حيث فاضت وجدانات العشاق الكبار من الشعراء بأنغام وترانيم وألحان تطهروا بها ، وحلقوا من خلالها ، دُنوًّا واستشرافًا من الأفق الأعلى والأسمى ، حيث ينابيع الروحانية ، والفيض الغامر ، وحيث تمتلئ النفوس بأقباس من النورانية وتفيض العيون بدموع الندم والخشية والتوبة ، وتعمر القلوب بوشائج المحبة الدائمة ، ومقامات العشق وأحواله ، وينسكب هذا كله فى النهاية شعرًا يفيض بالصدق ويعمر باليقين والمحبة والإيمان .

لكن الأمر فى هذه المختارات المتصلة بالحب الإلهى لم يكن بالهين أو اليسير .

فعلى الرغم من امتلاء صفحات كثيرة من تراثنا العربى بنماذج هذا الحب ، إلا أن اختلاطها واضطرابها وتداخلها ، وتفاوت مستوياتها بين أصالة وتقليد ، وشاعرية وصنعة ، وصدق وتكلف ، يجعل مهمة الاختيار والتصنيف شاقة وعسيرة ، فضلاً عن عدم ملاءمة الكثير منها ، وهى أمور اقتضت بذل المزيد من الجهد ، واستغراق الكثير من الوقت .

ولسنا نزعم أن هذه القصائد العشرين هى أفضل ما فى تراث الحب الإلهى ـ قديمه وحديثه ـ من نماذج ، ولا أن أصحابها من الشعراء هم وحدهم أفضل الشعراء وأحقهم بأن نتوقف عندهم ، فكما قلت فى تقديمى « لأحلى عشرين قصيدة حب فى الشعر العربى » : إن الأساس الأول فى الاختيار هو ذوق شخصى ، وقد يخطئ هذا الذوق وقد يصيب ، لكن ارتباطى الوجدانى ببعض هذه القصائد من خلال مواقف وتجارب معينة ، وعلى مدار العمر ، جعلها أقرب إلى نفسى وأسبق إلى الاختيار من سواها .

كذلك فإن حرصى على تغطية مساحة طويلة من الزمان تنتظم شعر الحب الإلهى ـ من بدئه كظاهرة فنية ملموسة حتى يومنا هذا جعلنى ـ كما قلت من قبل ـ لا أطيل التوقف عند ممثلى كل عصر من بين أعلامه وأصواته الكبرى بقدر إسراعى إلى انتزاع القصيدة النموذج فى دلالتها وموضعها من السياق .

ولاشك أن وضع هذه المختارات فى سلك منظوم يحمل انتظامه معنى ، ويعطى تتابعه واطراده دلالة ، ويؤدى بسياق اكتماله إلى فكرة واضحة هى الكشف عن تجربة التعبير عن الحب الإلهى فى شعرنا العربى ، وحقيقة موقف الشعراء العشاق من هذه التجربة والمدارات التى حلقوا فيها وسموا إليها ، وألوان الصور الشعرية التى أبدعوها والأنغام الموسيقية التى عزفوها والأبنية الفنية التى أقاموها - لاشك أن هذا الهدف يستحق عناء البحث والتنقيب والتحقيق والاختيار .

ولقد ظلت هذه النماذج وغيرها من تراث الحب الإلهى مختلطة مع غيرها من قصائد المدائح النبوية والابتهالات والأدعية والمنظومات والأذكار الدينية ، ولعل هذه هى المحاولة الأولى لاستخلاصها ، وتجريد بعضها مما لحق به من تحريفات أو علق به من تجاوزات ، حتى تكون هناك مختارات قادمة ، تركز على شعر المدائح النبوية باعتبارها فنًا مستقلاً ، له خصائصه وسماته وله أعلامه من الشعراء قدامى ومعاصرين ، وله مساحته الواسعة من الدوران فى ديوان الشعر العربى منذ أقدم العصور حتى اليوم .

والأمل معقود أن تلقى هذه المختارات من شعر الحب الإلهى ما لقيته سابقتها لدى القراء من ذيوع وانتشار ، بعد أن أدى الإقبال عليها إلى صدور الطبعة السادسة منها فى سنوات معدودة ، وأن يستجيب شعراؤنا ودارسونا للدعوة التى حملتها المختارات السابقة : أن يسهموا ويشاركوا فى هذا الميدان ، كل على حسب طاقته واستطاعته واهتماماته ، فتعدد مجالات الاختيار ، من خلال أذواق عدة ، من شأنه

أن يـؤدى فى النهايـة إلى تكـوّن الـذوق الصـحيح المدرب الـذى يجيـد الانتقاء والرؤية النافذة ، وينجح فى تقديم قراءة عصرية جديدة لكل ما يحمله التراث من كنوز ، بعد أن ينفـض عنها غبار الإهمال والنسيان ، ويعيد إليها ماء الجدّة والحياة .

فإذا ما نجحت هذه المختارات فى تقريب المسافة بين القارئ المعاصر وتراث أمته الشعرى ـ قديمه وحديثـه ـ وفتحت بابًا ولويسيرًا لتذوق عصرى ، ترفـده حساسيـة جديدة ، ووعـى جديـد ، فإنها تكـون قد شارفت الغاية ، وأشارت إلى الطريق .

# الرحلة فى بحار العشق

هى رحلة حب من طراز نادر وفريد .

نتقدم من خلالها إلى ساحة عامرة وضيئة ، تغتنى بالعديد من الأنغام والألحان التى أبدعها هؤلاء الشعراء الذين تغنوا بالحب الإلهى ــ عشقًا وهيامًا وفناءً وذوبانًا ـ بعد أن سموا بإدراكهم وتذوقهم للجمال والحب إلى ما فوق رغبات الحس ودواعى المتعة ونفذوا إلى أبعد آماد معانيه وصوره وتهويماته ، واستطاع هؤلاء الشعراء ـ الذين امتلأت قلوبهم ووجداناتهم بأقباس الحب الإلهى ـ أن يبدعوا عالمًا شعريًا له مفرداته ورموزه وإيحاءاته ، وله معجمه الخاص الذى لابد من الإحاطة به لمن يحاول الاقتراب من حدود عالمهم الشعرى ، خشية أن يزل أو يضل ، فالجمال بالنسبة إليهم وسيلة لسمو الروح واهتدائها إلى المعانى الخيرة المطلقة والمبادئ السامية . كما أن آيات الابداع التى تتجلى فى المخلوقات هى سبيل لتحقيق النشوة الروحية التى يعرج بها كل امرئ نقى السريرة إلى الله .

فالجمال الإلهى يتجلى فى الطبيعة من خلال الموجودات والكواكب

والنجوم ، كما يتجلى فى الناس . والكون كله يشترك فى عبادة ذى الجمال المطلق المنزه عن التشبيه ، ويهيم بهذا الجمال فى نشوة مقدسة، وهذا الحب الإلهى يغمر الكون ، ولولاه ما انتظم الكون . ومن هنا يمكن أن نفهم تجليات هذا الحب وأسراره وإيماءاته وومضاته ونحن نتابع رحلة هؤلاء الشعراء فى هيامهم بالجمال الإلهى تتردد على شفاههم أسماء محبوباتهم من البشر ، وهى فى حقيقتها رموز الجمال الأسمى ، فليلى وسعاد ونُعْم ـ وغيرها من الأسماء فى أشعارهم ـ هى الحبيب الأعظم ، وهى سبيلهم إلى الهداية الروحية ، يتجاوزون الجمال الجسمى المحدد إلى الانتشاء بالفيض الإلهى ، لجمالٍ يجل عن الوصف ويتقدس عن الكيف .

وقد عبر محيى الدين بن عربى ـ أحد هؤلاء العشاق الكبار من الصوفية ـ فى مقدمة ديوانه : ترجمان الأشواق ، عن حقيقة إدراك هؤلاء الشعراء للجمال الإلهى ، منبهًا إلى أن أشعارهم لها ظاهر وباطن، فظاهرها غزل يمكن أن ينطبق على الغزل الحسّى ، ولكن باطنها الهداية إلى أسرار الهيام بالمعارف الإلهية والواردات الباطنة والأسرار الجمالية العليا .(١)

يقول ابن عربى :

« لما نزلت بمكة سنة خمسمائة وثمانى وتسعين ، ألفيت جماعة من الفضلاء ، ولم أر فيهم مع فضلهم مثل أبى شجاع بن رستم

---

( ١ ) ليلى والمجنون أو الحب الصوفى ترجمة وتقديم الدكتور محمد غنيمى هلال .

الأصفهاني ، وكان لهذا الشيخ بنت تقيد النظر وتزين المحاضر، علمها عملها ، عليها مسحة مَلَك وهمة مِلك ، فقلدناها من نظمنا فى هذا الكتاب أحسن القلائد ، فكل اسم أذكره فى هذا الجزء فعنها أكنى ، ولم أزل فيما نظمته فى هذا الجزء على الإيماء إلى الواردات الإلهية ، والتنزلات الروحية والمناسبات العلوية ، جريًا على طريقتنا المثلى ، والله يعصم قارئ هذا الديوان من سبق خاطره إلى ما لا يليق بالنفوس الأبية والهمم العلية المتعلقة بالأمور السماوية » .

فإذا حاولنا أن نتأمل حقيقة هذا الحب الإلهى ومعناه ، ذلك الذى هام فيه الصوفية ، وفنوا وتفانوا ، معبرين عن خوالجهم وعن شطحاتهم ، فى نثرهم وشعرهم ، وأدعيتهم وابتهالاتهم ، وشروحهم وتعليقاتهم ومنظوماتهم ، وجدناه وقد تمثل فى صورته الأولى من خلال التعبير القرآنى المحكم ومأثور كلم الرسول الكريم .

جاء هذا المعنى فى القرآن الكريم « يحبهم ويحبونه » فى قوله تعالى : ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ . [ سورة المائدة : الآية ٥٤ ]

وفى قوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ .

[ سورة آل عمران : الآية ٣١ ]

وقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبًا لله﴾ .

[ سورة البقرة : الآية ١٦٥ ]

ويروى عن الرسول الكريم : اللهم إنى أسألك حبك ، وحب من يحبك والعمل الذى يبلغنى حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلىَّ من نفسى وأهلى ومن الماء البارد .

ومن مأثور قول الرسول الكريم :

« من أحب الله فليحبنى ، ومن أحبنى فليحب أصحابى ومن أحب أصحابى فليحب القرآن ، ومن أحب القرآن فليحب المساجد فإنها أبنية أذن الله تعالى برفعها وتطهيرها وبارك فيها ، فهى ميمونة ميمون أهلها، فهم فى صلاتهم والله تعالى فى حوائجهم ، وهم فى مساجدهم والله تعالى فى نجح مقاصدهم » .

وفى القرن الثانى الهجرى تتأكد فكرة حب الله من خلال شخصية التفت حولها القلوب والعقول ، هى شخصية رابعة العدوية التى ظهرت فى البصرة داعية بدعوة جديدة هى دعوة التقرب إلى الله عن طريق حبه ، وهى تنادى بهذا الحب لأنها ترى أن الله أهل لأن يحب أولاً لأنه مصدر النعم التى لا تنقطع ، فلا سبيل لأن ينقضى حب المنعم بها على العباد ، وهو أهل لأن يحب ثانيًا لجماله وجلاله .

تقول رابعة :

أحبك حبين : حب الهوى
وحبًا لأنك أهلٌ لذاكا
فأما الذى هو حبّ الهوى
فشغلى بذكرك عمن سواكا

وأمـا الـذى أنـت أهـل لـه

فكشـفك لى الحجب حتى أراكا

فـلا الحمـد فى ذا ولا ذاك لى

ولكـن لك الحمـد فى ذا وذاكـا

وفى موضع آخر من شعرها تقول :

ياسرورى ومنيـتى وعـمادى

وأنيـسى وعـُدّتى ومـرادى

أنت روح الفؤاد ، أنت رجـائى

أنت لى مؤنسى وشـوقك زادى

أنـت لولاك يا حـياتى وأنسى

مـا تشتتُّ فى فسـيح البـلادِ

كـم بـدت مـنة وكم لك عندى

من عطـاءٍ ونعمـة وأيـادى

حبـك الآن بُغْيـتى ونعيـمى

وجـلاء لعيـن قلـبى الصادى

ليـس لى عـنك ما حييت بَراحٌ

أنـت مـنى ممكّـن فى الفـؤادِ

ويبدو أن نفـاذ شخصية رابعـة فى القلوب ، ودوران شعـرها على

الألسنة والأسماع ، هو الذى أغرى كثيرين بالنظر إليه متابعةً واستلهاما ، يقول واحد منهم يعزف على وتر رابعة:

لما علمت بأن قلبى فارغ
ممن سواك ، ملأته بهواكا
وملأت كلى منك ، حتى لم أدع
منى مكانا خاليًا لسواكا
فالقلب فيه هيامه وغرامه
والنطق لا ينفكُّ عن ذكراكا
والطرف حيث أُجيله متلفتا
فى كلّ شىء يجتلى معناكا
والسمع لا يصغى إلى متكلم
إلا إذا ما حَدّثوا بحلاكا

بل إنه ينظر من قريب أيضًا إلى أبيات ابن الفارض المشهورة :

لك قرب منى ، ببعدك عنى
وحنوٌّ وجدته فى جفاكا
علّم الشوق مقلتى سهر الليل
فصارت من غير نوم تراكا
حبذا ليلة بها صدتُ إسراك
وكان السهاد لى أشراكا
بات بدر التمام طيف محيّاك
لطرفى بيقظتى إذ حكاكا

فـتـراءيت فى سـوك لعيـنٍ
بـك قـرّتْ ومـا رأيت سـواكـا

وهى أبيـات تدور حول فكـرة استحضار صورة المحبوب وتفنن هؤلاء الشعراء العشاق فى الإتيان بالصور المبتكرة والمعانى الطريفة ، وهو مجال كان لابن الفارض فضل السبق فيه ، من خلال قدرته الفذة على اصطياد عشرات الصور التى يتمثل فيها جمال صورة المحبوب ، وتتجلى روعتها وتفردها وتمايزها ، أليس هو القائل :

تـراه إن غـاب عنى كـل جـارحـة
فى كـلّ معنـى لطيفٍ رائقٍ بهيـج
فى نغمـة العود والنـاى الرخيـم ، إذا
تألّفا بيـن ألحـانٍ مـن الهـزج
وفى مسـارح غـزلان الخمـائل فى
بـرد الأصـائل والإصباحِ فى البَلَجِ
وفى مسـاقط أنـداء الغمـام على
بسـاط نَوْرٍ مـن الأزهـار مُنتسـج
وفى مسـاحب أذيـال النسـيم إذا
أهـدى إلىَّ سُحَـيرًا أطـيب الأرج
وفى التثـامىَ ثغـر الكـأس مـرتشفًا
ريـق المـدامة فى مسـتنزهٍ فـرج
لم أدْرِ مـا غـربةُ الأوطـانِ وهو معى
وخـاطـرى أيـن كنّا غـير منزعجِ

ويبدو أن هذا اللون من الحب لم يكن من السهل ولوج عالمه والارتفاع إلى مستوى معاينته وتمثله ، إلا بعد ابتلاء طويل وتجارب قاسية يتعرض فيها المتصوف فى البداية إلى معاناة الحب الإنسانى حتى تحتدم به عاطفته ، فيكون التحول إلى حبٍ أسمى هو حب الله .

قال بعض المريدين لأستاذه : قد طولعت بشىء من المحبة .

فقال : يا بنى : هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه إياه ؟

فقال : لا ، فقال : فلا تطمع فى المحبة فإنه لا يعطيها عبدًا حتى يبلوه. وشبيه بهذا ما قيل لبعض الصوفية وكان قد بذل المجهود من ماله ونفسه حتى لم يبق منها بقية : ما كان حالك من هذه المحبة ؟ فقال : كلمة سمعتها من خلق لخلق عملت بى هذا البلاء . قيل : وما هى؟ قال : سمعت محبوبًا قد خلا بمحبوبه وهو يقول : أنا والله أحبك، أملكك ما أملك ، ثم أنفق عليك روحى حتى تهلك ، فقلت : هذا خلق لخلق وعبد لعبد ، فكيف بخلق لخالق وعبد لمعبود ، فكان لذلك سببه[1]

ثم يجىء ذو النون المصرى ــ فى القرن الثالث الهجرى ـ ليضيف إلى هذا البعد من أبعاد الحب الإلهى عند المتصوفة ملمح الأنس ، الأنس بالله، أى العمل له خالصًا ، مع فرح القلب بالمحبوب « أى الله » ولو كان ذلك عن طريق النظر إلى بعض خلقه اتعاظًا واعتبارًا دون السكن إليهم.

يقول ذو النون حين سئل عن الأنس : أن تأنس بكل وجه صبيح

---

( ١ ) « أبو طالب المكى » : قوت القلوب جـ ٣ .

وكل صوت فصيح ، والله تبارك وتعالى فيما بينك وبين ذلك .

ثم نطالع عند إخوان الصفاء ـ فى القرن الرابع الهجرى ـ إدراكًا أعمق وأشمل لفكرة الحب الإلهى باعتباره الحب الحق والعشق الخالد الذى تسمو إليه النفس الناطقة عند بلوغها أقصى ما تسمو إليه من الكمال فالله هو المعشوق الأول المنزه عن الشبيه [1] ولا يستلزم حب الله والهيام به تجسيمًا فى رأيهم ، لأن الله يجل عن الشبيه والصورة ، لكن رؤية أولياء الله تعالى له هى رؤية نور بنور لنور فى نور ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ﴾ .

[ سورة النور : الآية ٣٥ ]

وهكذا يمضى إخوان الصفاء فى هذا الطريق ، طريق اتخاذ الحب طريقًا إلى الله ، والهيام به لجماله وجلاله ، وإدراك أن هذا الجمال كان الباعث على خلق الكون [2] ، والفلك إنما يدور شوقًا إليه ومحبة للبقاء والدوام المديد على أتم الحالات وأكمل الغايات وأفضل النهايات .

وهكذا تكتمل صورة هذا الحب الإلهى ، من خلال أبرز أعلامه ، واتجاهاتهم وأفكارهم ، فهو ليس تعلقًا بالأجساد وصور المادة ، بل

---

( ١ ) رسائل إخوان الصفاء جـ ٢ .

( ٢ ) روضة المحبين ونزهة المشتاقين : ابن قيم الجوزية .

هو حب للمعانى العقلية والكاملة وتعلق بالمثل وهيام بمصدر الكمال والجمال ، ومن هنا فالحب عند الصوفية طريق إلى الزهد فى متع الدنيا جميعًا وحرب على النفس وسبيل إلى العزوف عن مغرياتها .

والصوفية يحفلون بجمال الروح قبل جمال الجسم ، ولا فرق عندهم بين حب من صفت روحه من حسان الخلق وحب شيخ الطريقة الكهل الأشيب لأنه جميل الروح (١) . وشرط الوصول إلى الحق عن طريق الحب أن يكون المحب جميل الروح ،وأن يهتم بمخلوق جميل الروح ولو لم يكن جميل الجسم ، إن جمال الروح هو الذى يفتح أمام المحب الطريق للتأمل والفكر اللذين هما السبيل للوصول إلى الغاية من الحب عند الصوفية . فجمال الخلق يمكن أن يتخذ سبيلاً لمعرفة الحق، والحب هو الطريق لمعرفة الحقيقة . يقول عبد الرحمن الجامى الشاعر الفارسى المتصوف ـ فى قصة يوسف وزليخا ( ترجمة الدكتور محمد غنيمى هلال ) :

« القلب الخالى من ألم العشق ليس بقلب ، والجسم الخالى من ألم العشق ليس إلا ماءً وطينًا ، فأشح بوجهك عن العالم ولا تفكر إلا فى العشق ، فدوران الفلك إنما هو من أجل العشق فكن أسير العشق لتصير حرًا ، وقاسِ من أحزانه فى صدرك لتحظى بالسرور ، ولا تشح بوجهك عن العشق ولو كان العشق المجازى لأنه الطريق إلى العشق الحقيقى ، وكيف تتيسر لك قراءة القرآن إذا لم تكن قد طالعت أولاً

---

( ١ ) الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية للدكتور محمد غنيمى هلال .

الحروف الأبجدية فى اللوح ؟ سمعت أن مر يدًا طلب من شيخه العون فى إرشاده فقال له الشيخ : إذا لم تكن قد نقلت الخطو فى طريق العشق فاذهب وأحبّ ثم عد إلينا ، إذا بدون كأس خمرة الصورة لن يستطيع امرؤ تذوق جرع المعنى ، ولكن لا تمكث طويلاً أمام الصورة واعبر سريعًا ذلك الجسر إذا أردت أن تسرع بوضع رحلك فى منزل الوصول».

ويروى الجامى فى قصته « يوسف وزليخا » حكاية الفتاة المصرية الجميلة المسماة « بازعة » وقد أحبت « يوسف » من قبل أن تراه لما سمعته من وصفه ، فلما رأته وقعت مغشيًا عليها لما بهرها من جماله ثم أفاقت فأخذت تسأله : « يا من بك يستقيم أمر كل ذى حسن ، من ذا الذى زينك بمفاتن الجمال ؟ من ذا الذى جعل شمس جبينك تتألق؟ وأى مصورٍ أبدع قلمه فى نفسك ؟ وأى بستانى تعهد شجرة سروك وأى فرجار رسم قوس حواجبك ؟ ومن ذا الذى جعد هكذا ذوائبك ؟ ومن أين لوردتك النضرة ذلك الماء الذى به رويت ؟ » .

فأجابها يوسف : « أنا صنعة صانعى ، وقطرة من بحره كافية لخلقى ، وما الفلك إلا نقطة من كماله ، وما العالم إلا برعمة من حديقة جماله ، وقد أشرقت الشمس بنور حكمته ، وما السموات إلا حباب من بحر قدرته ، وجماله منزه عن تهمة العيب ، مستتر فى حجاب الغيب ، وقد جعل من ذرات العالم مرايا انعكس وجهه فى كل منها ، فكل ما يبدو جميلاً فى عيون المفكّر النافذ البصيرة ليس إلا انعكاسًا لوجهه ، فحين ترين هذا الانعكاس عجّلى بالاتجاه صوب الأصل الذى لا يبقى

بالاضافة إليه إشراق لذلك الانعكاس ، وإذا بقيت بعيدة عن أصل ذلك الجمال ـ وحاشا أن تبقىْ ـ فلا يلبث أن يفنى الجمال الذى تعلقت به فتظلين فى الظلمات ، فالجمال فى الخلق انعكاس عابر لا يطول بقاؤه كنضارة الورد فإذا أردت الخلود فتوجّهى إلى أصل الأشياء كلها » .

وعندما علمت الفتاة الحكيمة بهذه الأسرار من فم يوسف ، طوت بساط حبّها له ، وقالت له : « قد كدت أسقط إعياءً عندما رأيت وجهك ، وكنت أود أسلم الروح فوق قدميك ، ولكن حين ثقبت جوهر الأسرار وتحدثت عن سمات منبع الأنوار ، جعلتنى بلطف قولك الحق أدير وجهى عن حبّك ، قد رفعت الحجاب عن وجه المثال الذى إليه تطلعت ، والآن وقد تفتح قلبى لهذا السر ، وتطلعت أنظارى إلى العشق الحقيقى عن طريق عشقك المجازى ، فخير لى أن أنصرف عن المجاز إلى الحقيقة». ثم شكرت يوسف وانصرفت ، وأسست لها مقامًا للعبادة على ساحل النيل حيث ترهبت وزهدت فى خير الدنيا .

ويعرف بعض هؤلاء العشاق من المتصوفة المحبة بأنها الميل الدائم بالقلب الهائم ، وإيثار المحبوب على جميع المصحوب ، وموافقة الحبيب فى المشهد والمغيب ومحو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته ، ومواطأة القلب لمرادات الرب ، وترك الحرمة مع إقامة الخدمة .

يقول أبو يزيد البسطامى : المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك .

ويقول سهل بن عبد الله التسترىّ :

إن العباد عبدوا الله على ثلاثة وجوه : على الخوف والرجاء والقرب

ولكلٍ علامة يعرف بها وشهادة تشهد له بما له وعليه . فعلامة الخائف الاشتغال بالتخلص مما يخاف فلا يزال خائفًا حتى يتخلص ، فإذا تخلّص مما يخاف ، اطمأن وسكن ، فهذه علامة الخائفين . وأما الراجى فإنه رجا الجنة وطلب نعيمها وملكها فأعطى القليل وطلب الكثير، فبذل نفسه وخاف أن يسبقه أحد فجد فى البذل وتحرز من الدنيا ألا يقف غدا فى الحساب فيسبق .

وأما العارف الذى طلب معرفة الله وقربه ، فإنه بذل ماله فأخرجه ، ثم روحه فأباحه ، فلو لم تكن جنة ولا نار لما زال ولا فتر ، فهذه علامة العارف .

فانظروا أيها العقلاء : من أى القوم أنتم ؟ أموتى لا حياة فيكم ، أم لا موتى ولا أحياء ؟ أم أحياء حيوا حياة الخلد ؟

ويحك : إن الخائف حيٌّ بحياة واحدة ، وللراجى حياتان ، وللعارف ثلاث حيوات ، وهى الحياة التى لا موت فيها .

فحياة الخائف إذا أمن النار فقد حيى بحياة ثم يتم بحياة ثانية ، ويدخل الجنة بغير حساب ، والراجى أمن من العذاب ومن الحساب فمر إلى الجنة مع السابقين بغير حساب ، فصار له أمانان ، وأما العارف فصار له أمانان من النار ، والأمان الثالث صار إلى الرحمن .

ويقول سهل أيضًا :

الحب معانقة الطاعة ، ومباينة المخالفة .

وسئل الجنيد عن المحبة فقال : دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب .

ويقول أبو عبد الله القرشـــي : حقيقة المحبة أن تهب كلّك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء .

ويقول الشبلي : سُمّيت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب .

ويقول ابن عطاء : المحبة إقامة العتاب على الدوام .

ويقول أبو على الدقاق : المحبة لذة ومواضع الحقيقة دهش .

ويقول أيضًا : العشق مجاوزة الحدّ فى المحبة .

ويقول الشبلي : المحبة أن تغار على المحبوب أن يحبه مثلك .

ويقول ابـن عطاء : المحبة أغصـان تغرس فى القلب فتثمـر على قدر العقول .

ويقول سحنون : ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : يحشر المرء مع من أحب .

ويقول النصر اباذى : المحبة مجانبة السلو على كل حال .

وأنشد قائلاً :

ومن كـان فى طـول الهوى ذاق لـذةً
فـإنى من ليلـى لهـا غـيـر ذائـقِ
وأكـثر شيءٍ نلـته من وصـالها
أمـانىّ لم تصـدق كلمحـة بـارق

وأنشد ابن عطاء :

غرست لأهل الحب غصنًا من الهوى
ولم يـك يـدرى ما الهـوى أحدٌ قبلى

فــأورق أغصـــانًا وأتبــع صــبوةً
وأعقــب لى مـــرًّا من الثمـــر المحلــى
وكــلّ جمـيع العاشقـــين هـــواهم
إذا نســبوه كـــان من ذلك الأصـــل

وفسر أبو على الـدقاق قـول الرسـول الكريـم : « حبك الشــىء يعمى ويصم» قال : يعمى عن الغير غيرةً وعن المحبوب هيبة .

ثم أنشد :

إذا مـــا بـــدا لى تعـــاظمـــته
فــأصـــدر فى حـــال مــن لم يـــرد

ويقول الحارث المحـاسبى : المحبـة ميلك إلى الشــىء بكليتك ، ثـم إيثارك له على نفسك وروحـك ومالك ، ثم موافقتك لـه سرًا وجهرًا ، ثم علمك بتقصيرك فى محبته .

ويقول الشبلى : المحب إذا سكت هلك ، والعارف إن لم يسكت هلك .

ويفسر بعض العارفين (١) هذا الكلام بقوله :

إن المحب الواله لابدّ له من الشكـوى ، ويهيج من المحبة حتى ليكاد أن يحترق لو لم يبد ما عنده ، ولا يستطيـع الصبر على غيبة محبوبه ، لذلك قال الله فى حق أم موسى ــ عليه الصلاة والسلام ـ عند إلقائه فى اليم وغيبته عنهـا ( إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنـا على قلبها ) ولو كان بين يـديها لكتمته حـرصًا عليـه ، وكذلـك العارف إذا وصـل إلى

---

( ١ ) السمو الروحى فى الأدب الصوفى لأحمد عبد المنعم عبد السلام الحلوانى .

المعرفة بمحبوبه كتم سره حرصًا على البقاء فى حضرته وأدبًا من هيبته وخشوعًا فى حضرته ، ولأنه بات فى حضرة الغنى المطلق مترقيًّا فى الأسرار العلية فلا ينظر ما سواه ، وقد أغناه عن طلب غيره والتذّ بسريان السر فيه ، فهو فى مسارح الروح تائه فى بيداء الجلال ، يتكلم المتكلمون حوله وقلبه قد لها عنهم ، وروحه فى تجلياتها العظمى فوق مدارك الفهوم فلا يفهمهم ولا يُفهمهم ما لا يطيقون حمله ولا يستطيعون فهمه ، ومن وجد فى الحضرة فقد عراه الصمت المطلق فى باطن أسراره ، ولو تكلم فى الظاهر بموجب الشريعة وحال بشرنيته ، ولكنه يلهب القلوب لمجرد رؤيته من أنوار الحق التى تتجلى على باطنه ، ولذلك يذيق العارف محبيه حلاوة الإيمان بدون احتياج إلى بيان .

وقيل : المحبة نار فى القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب .

ويقول السوسى : لا تصلح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب بفناءٍ على المحبة .

ويروون أن السرىّ رفع إلى الجنيد رقعة وهو يقول له : هذه خير من سبعمائة قصة أو حديث يعلو فإذا فيها :

ولما ادعيت الحب قال : كذبتنى
فمالى أرى الأعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا
وتذبل حتى لا تجيب المناديا
وتنحلّ حتى ليس يبقى لك الهوى
سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

ومما يروى أيضًا ـ فى هذاالسياق ـ أن يحيى بن معاذ كتب إلى أبى يزيد

البسطامي قائلاً : سكرت من كثرة ما شربت من كأس محبته .

فكتب إليه أبو يزيد : غيرك شرب بحور السموات والأرض وما روى بعد ، ويقول هل من مزيد ؟

وأنشد :

عجبت لمن يقول : ذكرت إلفي
وهل أنس فأذكر ما نسيتُ
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا
ولولا حسن ظني ما حييتُ
شربنا الحب كأسًا بعد كأس
فما نفد الشراب وما رويتُ
فأحيا بالمنى وأموت شوقًا
فكم أحيا عليك وكم أموتُ

ويقول عبد الله بن المبارك :

من أعطى شيئا من المحبة ولم يُعط مثله من الخشية فهو مخدوع .

وقيل : المحبة سكر لا يصحو صاحبه إلا بمشاهدة محبوبه ، ثم السكر الذى يحصل عند الشهود لا يوصف .

وأنشدوا :

لى سكرتان وللندمان واحدة
شيء خُصصتُ به من دونهم وحدى

ويقول يحيى بن معاذ : مثقال خردلة من الحب أحب إلىَّ من عبادة سبعين سنة بلا حب .

وتذاكر قوم المحبة فى حضرة ذى النون المصرى فقال : كفّوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها ، ثم أنشأ يقول :

الخــــوف أولى بــالمســـــىء
إذا تـــألّــــــه والحــــــزَنْ
والحـــب يجـمـــل بالتـــقىّ
وبــالنقـــىّ مـــن الـــــدرن

ويروون أن قومًا جلسوا يتذاكـرون المحبة فى الكعبة ، وكان الجنيد أصغرهم سنـًا فطلبوا إليه الكلام ، فـأطرق برأسه ودمعـت عيناه ثم قال: عبدٌ ذاهل عن نفسه ، متصل بذكـر ربه ، قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبـه ، أحرقت قلبه أنوار هويتـه ، وصفا شربه مـن كأس وده ، وانكشف له الجبار عن أستار غيبـه فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمـر الله وإن سكن فمع الله ، فهـو بالله ومـع الله ، فبكى القوم وقالوا : ما على هذا مزيد ، جَبَرك الله يا تاج العارفين .

والجنيد هوالقائل :

وتـحققـــتك فى ســـــرى
فنــاجــاك لســـانـى
فاجتمعـــنا لمعـــان
وافـــترقـــنا لمعـــان
إن يــكن غَـيَّبــكَ التعظــيم
عـن لفـــظ عيـــانى
فلقــــد صـــيرَّك الـوجـد مـن الأحشـــاء دانِ

وهو القائل أيضًا فى معنى المشاهدة :

حـــاضرٌ فى القلـــب يعمـــره
لســـت أنســـاه فـــأذكـــره
فهـو مـــولاى ومعتـــــمدى
ونصــــيبى مـــنه أوفـــــره

وقيل : أوصى الله تعالى إلى داود عليه السـلام : ياداود إنى حرمت على القلوب أن يدخلها حبى وحب غيرى .

ويروى عن أبى سعيد الخراز أنه قال : رأيت النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى المنام ، فقلت له : يا رسول الله اعذرنى ، فإن محبة الله تعالى شغلتنى عن محبتك ، فقال : يا مبارك ، من أحب الله فقد أحبنى .

ونطـالع فى هـذه السطـور لأبى الحسـن الشـاذلى ـــ أحد أقطـاب العارفين بالله والمتصلين بـأسرار الحب الإلهى ـ اقترابًا من حـدود هذا العالم الروحـى السمح والأفق النورانـى السامى ، وهو يتحـدث عن الأنس الـربانى وشوارق الأنـوار ولوائح الأسرار ويقف عنـد الأحوال والمقامات ، يقول أبو الحسن :

« أول منزل يطؤه المحب للترقى منه إلى العلا : النفس ، فإذا اشتغل بسياستها ورياضتها إلى أن انتهى إلى معـرفتها وتحققها أشرقت عليه أنوار المنزل الثانى وهو القلب ، فـإذا اشتغل بسياسته حتى عرفه ولم يبق منه عليه شىء ، أشرقت عليه أنـوار المنزل الثالث وهو الروح فإذا اشتغل بسياسته وتمت له المعرفـة هبت عليه أنوار اليقين شيئًا فشيئًا

إلى تمام نهاياته ، وهذه طريق العامة ، وأما طريق الخاصة فهى طريق مسلوكة ، تضمحل العقول فى أقل القليل من شرحها » . ويقول : « من أمده الله تعالى بنور العقل الأصلى شهد موجودًا لا حد له ولا نهاية ، بالإضافة إلى هذا العبد ، واضمحلت جميع الكائنات فيه ، فتارة يشهدها فيه كما بنية فى الهواء بواسطة نور الشمس ، وتارة لا يشهد انحراف نور الشمس من الكوة ، فالشمس التى يبصر بها هى العقل الضرورى بعد المادة بنور اليقين ، وإذا اضمحل هذا النور ذهبت الكائنات كلها وبقى هذا الوجود ، فتارة يفنى وتارة يبقى ، حتى إذا أريد به الكمال نودى فيه نداء خفيًا لا صوت له ، فيمد بالفهم عنه ، ألا إن الذى يشهد غير الله تعالى ليس من الله فى شىء ، فهناك يتنبه من سكراته فيقول : يارب ثبتنى وإلا فأنا هالك ، فيعلم يقينًا أن هذا الحب لا ينجيه منه إلا الله عز وجل فحينئذ يقال له : إن هذا الموجود هو العقل الذى قال فيه رسول الله ـ صلى الله علية وسلم ـ : أول ما خلق الله العقل ، فأعطى هذا العبد الذل ، والانقياد لنور هذا الموجود ، إذ لا يقدر على حدّه وغايته ، فإذا أمد الله هذا العبد بنور أسمائه قطع ذلك كلمح البصر ، أو كما شاء الله تعالى : نرفع درجات من نشاء ، ثم أمده الله تعالى بنور الروح الربانى فعرف هذا الموجود فرقى إلى ميدان الروح الربانى ، فذهب بجميع ما تحلّى به هذا العبد ، وما تخلى عنه بالضرورة، وبقى كلا موجود ، ثم أحياه الله بنور صفاته فأدرجه بهذه الحياة فى معرفة هذا الموجود الربانى فلما استنشق من مبادئ صفاته كاد يقول : هو الله . فإذا لحقته العناية الأزلية نادته : ألا إنّ هذا الموجود

هو الذى لا يحق لأحد أن يصفه ، ولا يعبر عنه شيء من سر صفاته لغير أهله ، لكن بنور غيره يعرفه فإذا أمدّه الله بنور سر الروح وجد نفسه جالسًا على باب ميدان السرّ ، فرفع همته يعرف هذا الموجود الذى هو السرّ ، فعمي عن إدراكه فتلاشت جميع أوصافه كأنه ليس بشيء ، فإذا أمده الله تعالى بنور ذاته أحياه حياة باقية لا عاقبة ولا غاية لها ، فينظر جميع المعلومات بنور هذه الحياة ، ووجد نور الحق شائعًا فى كل شيء لا يشهد غيره ، فنودى من قريب : لا تغتر بالله ، فإن المحجوب من حجب عن الله بالله ، إذ محال أن يحجبه غيره ، وهناك يحيا حياة استودعها الله تعالى فيه ، ثم قال : أعوذ بك منك حتى لا أرى غيرك ، وهذا هو سبيل الترقى إلى حضرة العلى الأعلى ، وهو طريق المحبين الذين هم أبدال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما يعطيه الله تعالى لأحدهم من بعد هذا المنزل لا يقدر أحد أن يصف منه ذرة ، والحمد لله على نعمائه .

وأما طريق المحبوبين الخاصة بهم ، فإنه ترقٍ منه إليه به ، إذ محال أن يتوصل إليه بغيره ، فأول قدم لهم بلا قدم ، إذ ألقى عليهم نور ذاته ، فغيبهم بين عباده وحبب إليهم الخلوات وصغرت لديهم الأعمال الصالحات ، وعظم عندهم رب الأرض والسموات ، فبينما هم كذلك إذ ألبسهم ثوب العدم ، فنظروا فإذا هم لاهم ، ثم أردف عليهم ظلمة غيبتهم عن نظرهم ، فصار نظرهم عدمًا لا علة له ، فانطمست جميع العلل ، وزال كل حادث ، فلا حادث ولا وجود ، بل ليس إلا العدم الذى لا علّة له ، فلا معرفة تتعلق به ، اضمحلت المعلومات ،

وزالت الرسومات زوالا لا علة فيه ، وبقى من أشير إليه ، لا وصف له ولا صفة ولا ذات ، واضمحلت النعوت والأسماء والصفات كذلك ، فلا اسم ولا صفة ولا ذات ، فهنالك ظهر ما لم يزل ظهورًا لا علة فيه ، بل ظهر بسره لذاته فى ذاته ظهورًا لا أولية له ، بل نظر من ذاته لذاته فى ذاته ، وهناك يحيا العبد بظهور حياة لا علة لها ، وصار أولاً فى ظهوره لا ظاهرًا قبله ، فوجدت الأشياء بأوصافه وظهرت بنوره فى نوره سبحانه وتعالى . ثم يغطس بعد ذلك فى بحر بعد بحر إلى أن يصل إلى بحر السر فإذا دخل بحر السر غرق غرقًا لا خروج له منه أبد الآباد ، فإن شاء الله تعالى بعثه نائبًا عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، يحيى به عباده ، وإن شاء ستره يفعل فى ملكه ما يشاء » .

ويقول أبو الحسن الشاذلى : « لا يوصف العبد بأنه قد هجر المعاصى إلا إن كانت لم تخطر له على بال ، فإن حقيقة الهجر نسيان المهجور ، هذا فى حق الكاملين ، فإن لم يكن كذلك فليهجر على المكابدة والمجاهدة » .

ويقول أيضًا : لن يصل العبد إلى الله تعالى وبقى معه شهوة من شهواته ، ولا مشيئة من مشيئاته ، ولن يقتل هو نفسه حتى يأخذها بالقوة وشدة المجاهدة إلى أن يذللها تذليلا ويروضها على نسيان ذاتها، فيقف عند حد الذل إلى الله تعالى .

وفى ذلك يقول عمر بن الفارض :

وما ظفرت بالودّ روح مُراحةٌ

ولا بالولا نفسٌ ، صفا العيش ودَّتِ

وأيـن الصـفـا ؟ هيهـات بالعيش عاشقٌ
وجــنة عـــدنٍ بالمـــكاره حُــفّــتِ
ولى نفـــس حــرٍّ لـو بـذلت لها علـى
تسـلّيك ما فـــوق المـــنى ما تسـلّتِ
ولـو أبعـــدت بالصـدّ والهجـــر والقلى
وقطــع الرَّجـا من خلـّتى ما تخــــلتِ
وعـن مـذهـــبى فى الحـب ما لى مذهبٌ
وإن ملـت يـومًا عـنه فـــارقـت ملـّتى
ولـــو خطـــرت لى فى ســـواك إرادة
على خـــاطـــرى سـهْوًا قضيت برِدَّتى

ويقول بعـض العارفين مـن المحبين : « لولا الحب لم يخلـق الله فى الناس حياة ، فالحياة حب الله هى السعادة والوجود ، وفى غير حب الله هى الشقاء والفقد . وقال الله سبحانه وتعالى :﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذيـن آمنوا أشدّ حبا لله ، ولو يرى الـذين ظلموا إذ يرون العـذاب أن القوة لله جميعًا وأن الله شــديد العذاب ﴾ .

فالمخلوق يحن إلى خالقه بضرورة وجـوده ، لا يجد محبوبًا أسمى فى الله ، ولا يجد راحة إلا فى السكون إليــه وغنىً إلا به ، ولا جمالاً إلا فى التشوق إليه ، والخالق يحن إلى من خلق ببرّه ورحمته ، وبحكم احتياج المخلوق إلى خـالقه إلا إذا كان من الكـافرين الأشقيـاء ، أو ذل بالحب المادى حتى هلك فيه .

وهو شبيه بقول من قال : سألت ربى بأىّ شىء أصل إليك يارب ؟ فقال : اترك نفسك وتعال .

فإذا قتل حب النفس والأنانية والشهوات ، عاش الله بلا نفس ، وكانت الروح القدسية هى المتغلبة على النفس فمحتها وعاش بها محلقًا فى سماء القدس لا يهوى الدنيا وأهلها .

ويقول ذو النون المصرى : الأنس بالله نور ساطع ، والأنس بالناس سم قاطع . الشوق أعلى الدرجات والمقامات إذا بلغه العبد استبطأ الموت شوقًا إلى ربه ، وحبًّا للقائه والنظر إليه .

ويقول : مدار الطريق على أربع : حب الجليل ، وبغض الفانى القليل، واتباع التنزيل .

ويقول :

لا لأنى أنساك أكثر ذكراك
ولكن بذاك يجرى لسانى

ويقول :

ذكرنا وما كنا لننْسى فنذكرُ
ولكن نسيم القرب يبدو فيظهرُ
وأحيا به عنىّ وأحيا به له
إذ الحق عنه مخبرٌ ومعبّرُ

ومن أشعاره فى الحب الإلهى :

أنت فى غفلة وقلبك ساهى
فغدا العُمرُ والذنوب كما هى

جمـــّةٌ أحصـــيت عليـــك جميعـــا

في كتـــابٍ وأنـــت عن ذاك لاهـــي

لـــم تبـــادر بتـــوبـــةٍ مـــنك حـــتى

صـــرت شيخـــًا فحبـــلك اليوم واهِ

فاجتهـــد في فـــكاك نفســـك واحـــذر

يـــوم تبـــدو الـسّمـــاتُ فـــوق الجـبـاه

وتصـل الحال بـالعـارفين والعاشقين إلى أعلى درجـات الـذكـر ، والمشاهدة فيفيض البيان بما عجز عن كتمانه القلب واللسان .

يقول الشبلى الذى كان يقوم بالليل ويكتحل من الملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم :

ذكـــرتـك ، لا أنـي نسيتـــك لمحـــة

وأيســـرُ مـــا في الذكـــر ذكـــر لســـاني

وكـدت بـــلا وجـد أمـوت من الهـوى

وهـــام علـــيَّ القلـــب بالخفقـــانِ

فلمـا أرانـي الوجـد أنـــك حاضرى

شـهـدتـك مـوجـودًا بكـلِّ مكـــان

فخـاطبـتُ مـوجـودًا بغيـــر تـــكلم

ولاحظـــت معلـــومـــًا بغيـــر عـــيان

ويقـول النابلســي الـذى شغلـت أذكاره النـاس في مصر والشـام والعراق لما فيهـا من عـذوبة الإيقاع وجيشـان النغم وخفـّة الروح في أنشودة الساقى :

ساقى يا ساقى
اسقنى من خمره الباقى
واكشف لى عن قيد إطلاقى
آه يا ساقى ، آه يا ساقى
أستاره راحت
عن عينى والزهرة فاحت
والسكرة بالأسرار باحت
آه يا ساقى ، آه يا ساقى
اكشف لى عنّك
فى ذاتى وافتح لى دَنَّك
واجعلنى يا حِبِّى أنَّك
آهٍ يا ساقى ، آهٍ يا ساقى
افتح لى باب الحان
واسمعنى من طيب الألحان
وارشفنى من كأسى الملآن
آهٍ يا ساقى ، آهٍ يا ساقى
من يشرب يسكر
من خمرى لما يتفكّر
والمغرور فى علمه أنكر
آهٍ يا ساقى ، آهٍ يا ساقى

لا يعـــــرفُ أمــــــرى
إلا من يشـــــرب خمـــــرى
أحشـــاؤه تصــلى فى جمــرى
آهٍ يـا ســـــاقى ، آهٍ يـا ساقى

ويقول النابلسى فى تجليات وجه المحبوب ، وهى مقطوعة ذاعت فى حلقات الأذكار عن المتصوفة والعشاق :

تجلـــىّ وجـــه محـــبوبـى
وهــذا كُـــلّ مطلـــــوبـى
فيـانــار العـــدا ذوبــــى
بعــيدٌ عنـكِ مشـــــروبـى
جمـــال الأهيــفِ الـزاهـــى
وحســـنُ الأغـــيد البـــاهــى
بـه صـــبرى هـــو الــواهــى
ومـوتــى فـــيه مــرغـوبــى
رأيـــنا نـــوره أشـــــرق
فكـــنّا بـــرقــه الأبــــرق
ولا نجـــــدٌ ولا أبْـــــرقْ
سوى الإبــريـــق والــكـــوبِ
علــيـــنا الخمـــر قـــد دارت
بهـــا ألبـــابُنا حـــــارت

وأطـــيار الـهـــوى طـــارت
بـــترتيـــب وأســـــلوب
ملـــيح الـكـــون وافـــانـــا
وزاد الحسْــــنُ احســـانـــا
وحـــيا يـــوســـف الآنـــا
فقـــرَّت عـــينُ يعقـــوب

ويروون أن أبـا حمزة الخراساني كـان يقول : من استشعـر ذكر الموت حبّب الله إليه كل باقٍ وبغَّض إليه كل فانٍ .

وقال له رجل : أوصني ، فقال له أبو حمزة : هيِّئ زادك للسفر الذي بين يديك .

ومن أشعاره في معنى الشهود والرضا بالحبيب :

أهـابـك أن أبـدي إلـيك الذي أخفي
وسرّي يبدي ما يقــول له طــــرفي
نهـاني حـيائي منك أن أكـتم الـهـــوى
وأغنيتـني بالفـهم مـنك عـن الكشـفِ

ويروون أن سحنون المحب سئل ذات يوم عن التصوف فقال : هذا مذهب كله جِدّ فلا تخلطوه بشيء من الهزل .

ومن أقواله : من عـلامة الاغترار أن تسـيء فيحسن الله إليك فتترك الإنابة والتوبة توهّمًا أنك تسـامح في الهفوات وترى أن ذلك من بسط الحقّ عليك.

ويقول : الفقير الصادق الذى يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى ، ويستوحش من الغنى كما يستوحش الجاهل من الفقير .

ويقول سحنون واصفًا حال المحبين العارفين :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر
وتذكارهم وقت المناجاه للسرِّ
ولا عيْش إلا مع رجالٍ قلوبهم
تحنُّ إلى التقْوى وترتاحُ للذكرِ
أُديرت كئوس للمنايا عليهمو
فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى السُّكر
همومهمو جوّالةٌ بمعسكر
به أهل ودِّ الله كالأنجم الزهر
فأجسادهم فى الأرض قتلى بحبّه
وأرواحهم فى الحُجْبِ نحوالعلاتسرى
فما عرّسوا إلا بقرب حبيبهم
وما عرجوا عن مس بؤسٍ ولا ضرِّ
سكُونٌ إلى روح اليقين وطيبه
كما سكن الطفل الرضيع إلى الحِجْرِ

وسحنون هو القائل :

كان لى قلبٌ أعيشُ به
ضاع منى فى تقلُّبه
ربّ فارددْهُ علىَّ فقد
ضاق صدرى فى تطلُّبهِ

وأغثْ مادام بي رمقٌ
يا غياث المستغيثِ بهِ

ويقول الإمام القشيرى :

الغيبة غيبة القلب عن علم ما يجرى من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه ، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره ، بوارد من تذكر ثواب أو تفكّر عقاب .

ويروون عن على بن الحسين أنه كان فى سجوده فوقع حريق فى داره فلم ينصرف عن صلاته ، فسئل عن حاله فقال : ألهتنى النار الكبرى عن هذه النار .

ويقول بعض العارفين :

إن المحب يكون فى المظهر كسائر الناس ، لكنه فى الحقيقة غائب عنهم فى طلب مراده ، ويستوى عنده الموت والحياة ، مادامت روحه متعشقة لذات حبيبه مسلمة له فى جميع الأمور . فحياته فناؤه وفناؤه حياته ، ولو علم الناس حقيقة البقاء فى حضرة الحق وانكشف لهم الحجاب لم يزاولوا أمرًا من أمور الدنيا ، وترامـوا على أعتاب البقاء لما فيه من السعادة .

ومن هنا جاء شعرهم :

قد شربنا من حبّه فسكرنا
وعرفنا من أين نأتى الجِوارا
ودخلنا دار الكرامة نُروى
بيقين الهوى وكنا حيارى

اعــذرونــا إذا نهيــم ، فـــإنــا
في ديـار الهوى خُلقنــا أُســارى
وتــرانا مــن حيث نشرب في الكــأس
سُكــارى ولم نكـــن بسُكــارى
نتحـــلّى بالعلـم في كـل نــادٍ ،
ونُـــرى بــالتقـــى علينــا إزارا
فقلــوب مثــل الكــواكــب فينــا
تُظهــر الــنور فهــو لا يتــوارى

وامتلأت كتب تـراثنا العربى بالكثير من أجـوبة المحبين العارفين ، أهل التصـوف والعشق الإلهى ، لما حفلت به مـن جوامع الكلـم ، ومن نماذج بليغة ، رفيعة التعبير ، مشرقة البيان، فضـلاً عن امتلائها بكل ما يُزيّن مكارم الأخلاق .

قيل لسـهل بن عبد الله المروزىّ : مالك تكثر التصدق ؟ فقال :

لــو أن رجـلاً أراد أن يتنقل مـن دار إلى دار، أكـان يُبقــى فى الأولى شيئًا؟ .

وقيل للربيع بن خيثم وقد اعتل : ندعو لك بالطبيب ؟

فقال : قد أردت ذلك فذكرت عـادًا وثمودا وأصحاب الرسّ وقرونًا بين ذلك كثيرًا ، وعلمت أنه كان فيهم الداء والمداوى فهلكوا جميعًا .

وقيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظات ؟ فقال : محلّة الأموات .

وقيل للحسـن البصرىّ : كيف ترى الدنيـا ؟ فقال : شغلنى تـوقع بلائها عن الفرح برخائها .

وقيل للفضيل بن عياض : إن ابنك يقول : وددت أنى فى مكانٍ أرى الناس ولا يروننى .

فقال : يا ويح ابنى ، أفلا أتمها فقال : لا أراهم ولا يروننى .

وقيل لبعض الصوفية : أى شىءٍ أعجب عندك ؟

فقال : قلب عرف الله ثم عصاه .

وقيل لآخر : مالك كلما تكلمت بكى من يسمعك ، ولا يبكى من كلام واعظ المدينة أحد ؟

فقال : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة .

وقيل للربيع بن خيثم : ما نراك تغتاب أحدًا ، فقال : لست عن حالى راضيًا حتى أتفرغ لذمّ الناس .

وقيل لعبد الله بن المبارك : حتى متى تكتب كل ما تسمع ؟

فقال : لعل الكلمة التى تنفعنى لم أكتبها بعد .

وقيل لصوفى : ما صناعتكم ؟

فقال : حسن الظن بالله وسوء الظن بالناس .

وقيل للشبلى : لم سمى الصوفى ابن الوقت ؟

فقال : لأنه لا يأسف على الفائت ولا ينتظر الوارد .

وقيل لابن السماك : ما الكمال ؟

فقال : الكمال أن لا يعيب الرجل أحدًا بعيب فيه مثله حتى يصلح ذلك العيب من نفسه ، فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس ، وأن لا يطلق لسانه ويده حتى يعلم أفى طاعة أم فى معصية ، وأن لا يلتمس من الناس إلا ما يعلم أنه

يعطيهم من نفسه مثله ، وأن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم ، وتوفيته حقوقهم ، وأن ينفق الفضل من ماله ويمسك الفضل من قوله.

وقيل للشبلى : من الرفيق ؟

فقال : من أنت غاية شغله .

ويقول ابن عطاء الله السكندرى :

دخلت على الشيخ ـ رضى الله عنه ـ وفى نفسى العزم على التجريد قائلاً فى نفسى : « إن الوصول إلى الله تعالى على هذه الحالة بعيد مع الاشتغال بالعلوم الظاهرة ووجود المخالطة للناس » فقال لى من غير أن أسأله :

صحبنى إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومتصدر فيها فذاق من هذه الطريق شيئاً ، فجاء إلىَّ فقال : يا سيدى أخرج عما أنا فيه وأتجرد لصحبتك ، فقلت له : ما الشأن ذاك ، ولكن امكث فيما أنت فيه ، وما قسم الله لك على أيدينا فهو إليك واصل ، ثم قال الشيخ ـ ونظر إلىَّ ـ «وهكذا شأن الصدّيقين لا يخرجون من شىء حتى يكون الحق سبحانه وتعالى هو الذى يتولى إخراجهم ، فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى ، ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى » .

ويقول ابن عطاء الله :

إنما يستوحش العباد والزهاد من كل شىء ، لغيبتهم عن الله فى كل شىء ، ولو شهدوه فى كل شىء ، لم يستوحشوا من شىء .

ويقول :

علم منك أنك لا تصبر عنه فأشهدك ما برز منه . لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ، ومحو ذنوبك لم تصل إليه أبدًا ، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ،ونعتك بنعته ، فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه .

ويقول :

حظ النفس فى المعصية ظاهر جلىّ ، وحظها فى الطاعات باطن خفى ، ومداواة ما يخفى صعب علاجه .

ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق إليك .

ويقول ابن عطاء الله فى استغاثاته :

إلهى : أنا الفقير فى غناى ، فكيف لا أكون فقيرًا فى فقرى .

إلهى : أنا الجاهل فى علمى ، فكيف لا أكون جهولاً فى جهلى .

إلهى : وصفت نفسك باللطف والرأفة بى قبل وجود ضعفى أفتمنعنى منهما بعد وجود ضعفى .

إلهى : إن ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة علىّ ، وإن ظهرت المساوىء فبعدلك ولك الحجة علىّ ، ها أنا أتوسل إليك بفقرى إليك ، وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك ؟ أم كيف أشكو إليك حالى وهى لا تخفى عليك ، أم كيف أترجم لك بمقالى وهو منك برز إليك ؟ أم كيف تخيب آمالى وهى وفدت إليك ؟ أم كيف لا تحسن أحوالى وبك قامت وإليك ؟

وينفتح أمام قلبه باب الرجاء فيقول :

إلهى : كلما أخرسنى لؤمى أنطقنى كرمك ، وكلما آيستْنى أوصاف

أطمعتنى منّتك .

وينكر ابن عطـاء الله أن تكون الكائنات هـى الشـاهد على وجود الله فيقول :

إلهى : كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك ؟

أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟

متى غبت حتـى نحتاج إلى دليل يدل عليك ؟ ومتـى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك .

إلهى : أمرت بـالرجـوع إلى الآثار ، فـأرجعنى إليهـا بكسوة الأنـوار ، وهداية الاستبصار ، حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصـون السرّ عن النظـر إليها ، ومـرفـوع الهمة عـن الاعتماد عليها، إنك على كل شىء قدير .

ويتلهف على الوصول إلى الله فيقول :

إلهى : منك أطلب الـوصول إليك ، وبك أستـدل عليك فاهدنـى بنورك إليك ، وأقمنى بصدر العبودية بين يديْك .

إلهى : تقدس رضـاك عن أن تكون له علـة منك ، فكيف تكون لـه علّة منى ، أنت الغنى بذاتك عـن أن يصل إليك النفع منك ، فكيف لا تكون غنيًّا عنى .

ويقـول ابـن عطـاء الله : إلهى ، إن رجـائى لا ينقطـع عنـك وإن عصيتك، كما أن خوفى لا يزايلك وإن أطعتك .

ويشير الدكتور زكى مبارك فى كتابه عن التصوف الإسلامى إلى أن لابن عطاء الله كلمات سـارت مسير الشمس ، فكانت شاهـدًا على قوته

الروحية ، من بينها قوله : إلهى ، هذا ذلى ظاهر بين يديك ، وهذا حالى لا يخفى عليك ، بك أستنصر فانصرنى ، وعليك أتوكل فلا تكلنى ، وإياك أسأل فلا تخيّبنى وفى فضلك أرغب فلا تحرمنى ، ولجنابك أنتسب فلا تبعدنى ، وببابك أقف فلا تطردنى .

ويقول إسحاق بن إبراهيم السّرخسّى : سمعت ذا النون وفى يده الغل ـ أى القيد ـ بعد أن سيق إلى الخليفة المتوكل من مصر إلى بغداد مقيدًا مغلولاً لأن بعض من لم يفهموه وشوا به واتهموه فى دينه ـ وهو يساق إلى الموت والناس يبكون حوله وهو يقول :

هذا من مواهب الله تعالى ومن عطاياه ، وكلُّ فعاله عذب حسنٌ طيب، ثم أنشد :

لك من قلبىَ المكان المصونُ
كلُّ لوم علىّ فيك يهونُ
لك عزٌم بأن أكون قتيلاً
فيك ، والصبر عنك ما لا يكونُ

ومن أقوال ذى النون : الصوفية قوم آثروا الله على كل شىء فآثرهم على كل شىء . ومن وصاياه المأثورة عند الصوفية :

ليس بذى لبٍ من كاس ( أى التزم بالكياسة ) فى أمر دنياه وحمق فى أمر آخرته ، ولا من سفه فى مواطن حلمه ، وتكبّر فى مواطن تواضعه، ولا من فقد منه الهوى فى مواضع طعمه ، ولا من غضب من حق إن قيل له ، ولا من زهد فيما يرغب العاقل عن مثله ، ولا من زهد فيما يزهد الأكياس فى مثله ، ولا من استقل الكثير من خالقه عز وجل ،

واستكثر قليل الشكر من نفسه لغيره ، ولا من نسى الله فى مواطن طاعته ، وذكر الله فى مواطن الحاجة إليه ، ولا من جمع العلم فعرف به ثم آثر عليه هواه عند متعلمه ، ولا من قلّ منه الحياء من الله على جميل ستره . ولا من أغفل الشكر عن إظهار نعمته ، ولا من عجز عن مجاهدة عدوه لنجاته إذا صبر عدوه على مجاهدته ، ولا من جعل مروءته لباسه، ولم يجعل أدبه درعه وتقواه لباسه ، ولا من جعل علمه ومعرفته تظرّفًا وتزيينا فى مجلسه .

ثم يقول :

أستغفر الله ، إن الكلام كثير ، وإن لم تقطعه ينقطع ، لا تخرجوا من ثلاثة : النظر فى دينكم بإيمانكم ، والتزود لآخرتكم من دنياكم والاستعانة بربكم فيما أمركم به ، ونهاكم عنه .

ويقول يحيى بن معاذ : يكاد رجائى لك مع الذنوب ، يغلب رجائى لك مع الأعمال ، لأنى أجدنى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص ، وكيف أحررها من الرياء وأنا بالآفة معروف ، وأجدنى فى الذنوب أعتمد على عفوك ، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف ؟

ويروى السّراج الطوسى أن رجلًا وقف على الشبلى فقال له : أى صبرٍ أشدّ على الصابرين ؟ فقال : الصبر لله ، فقال الرجل : لا ، فقال الشبلى : الصبر مع الله ، فقال الرجل : لا ، فغضب الشبلى وقال : ويحك، فماذا ؟فقال الرجل : الصبر من الله عز وجل .

فصرخ الشبلى صرخة كادت تُتلف روحه .

ثم يقول السراج : وسألت ابن سالم بالبصرة عن الصبر فقال : هو

على ثلاثة أوجه : متصبر وصابر وصبّار ، فالمتصبر من صبر فى الله تعالى ، فمرة يصبر على المكاره ومرة يعجز ، والصابر من يصبر لله وفى الله ولا يعجز ، وأما الصبّار فذلك الذى صبره فى الله ولله وبالله ، فهذا لو وقعت عليه جميع البلايا لا يعجز ولا يتغير من جهة الوجوب والحقيقة لا من جهة الرسم والخليقة .

وبانتقال التجربة الصوفية فى التعبير عن الحب الإلهى ـ نثرًا وشعرًا ـ إلى محيى الدين بن عربى ، تزداد لغتها قوة وحرارة ورصانة، وتمتلئ بالتعابير والاصطلاحات والرموز التى يتطلب فهمها واستيعابها شروحًا وذيولاً وإفاضات تفتح بها مغاليق ذلك العالم الواسع الرحيب الذى يحلق فيه ابن عربى ويطوف ، فى مشاهد أنسه ومجالى تجلياته .

ويعده الدكتور زكى مبارك فى كتابه « التصوف الإسلامى » من طبقة الكتاب العظام ، ويرى أن نثره يمتاز بميزة عجيبة ، هى أنه لا يشغلك بالألفاظ ، وإنما يشغلك بالمعانى ، ففى كل صفحة من كتبه معركة عقلية ، فالقوة البيانية عنده قوة فكرة لا قوة تهويل .

يقول ابن عربى :

كنت أطوف ذات ليلة بالبيت فطاب وقتى ، وهزنى حال كنت أعرفه، فخرجت من البلاط من أجل الناس وطفت على الرمل ، فحضرتنى أبيات فأنشدتها أسمع بها نفسى ومن يلينى لو كان هناك أحد ، فقلت:

ليت شعرى هل دروا أىّ قلـــب ملكـــوا
وفــؤادى لـــو درى أىَّ شعـــب سلكـــوا
أتـــراهم سلمـــوا أم تـــراهـم هلكـــوا
حــار أربـــاب الهوى فى الهوى وارتبكـــوا

فلم أشعـر إلا بضربة بين كتفـىّ بيد ألين مـن الخز ، فالتفـت فإذا بجارية من بنات الـروم لم أر أحسن وجهًا ولا أعذب منطقًا ، ولا أرقَّ حاشية ، ولا ألطف معنى ولا أدق إشارة ، ولا أظرف محاورة منها ، قد فاقت أهل زمانها ظرفًا وأدبًا وجمالاً ومعرفة ، فقالت : يا سيدى كيف قلت ؟ فقلت :

ليـت شعرى هل دروا أى قلـــب ملـــكوا

فقالت :

عجبًا منك وأنت عارف زمانك ، تقول مثل هذا ؟
أليس كل مملوك معروفًا ؟ وهـل يصح الملك إلا بعد المعرفة وتمنى الشعـور يؤذن بعدمهـا ، والطريق لســانٌ صادق ، فكيف يجوز لمثلك أن يقول هذا ؟ قـل يا سيدى ، فماذا قلت بعده ؟

قلت :

وفــؤادى لـــو درى أى شِعـــبٍ سلـــكوا

فقالت :

يا سيدى ، الشِّعــب الذى بين الشغاف والفؤاد هـو المانع له

من المعرفة ، فكيف يتمنى مثلك ما لا يمكن الوصول إليه إلا بعد المعـرفة والطريـق لسان صدق ، فكيـف يجوز لمثلك أن يقول هذا ؟ يا سيدى ، فماذا قلت بعده ؟

فقلت :

حار أربابُ الهــوى          فى الهــوى وارتبـــكوا

فصاحت وقالت :

يا عجبـا ، كيف يبقيِ للمشغـوف فضلة يحار بها ، والهوى شـأنه التعميم يخدر الحواس ، ويذهـب العقول ، ويدهش الخواطـر ويذهب بصاحبه فى الذاهبين ، فأين الحيرة وما هنا باق فيحار ، والطريق لسان صدق والتجوز من مثلك غير لائق ، فقلت :

يا بنت الخالة ، ما اسمك ؟ فقالت : قرة العين ، فقلت : لى ! ثم سلمتُ وانصرفت ثم إنى عرفتها بعد ذلك وعـاشرتها فرأيت عندها من لطائف المعارف ما لا يصفه واصف .

ومن الآثار الجميلة لابن عربى أبيات يقول فيها :

ذبـت اشتيـاقًا ووجـدًا فى محبتكـم
فـآه من طـول شـوقى آه من كمدى
يدى وضعـت على قلبى مخافـة أن
ينشـق صـدرىَ لمّـا خاننى جلـدى
مـا زال يـرفعهـا طـورًا ويخفضهـا
حتى وضعت يدى الأخرى تشد يدى

ومن منظـومـاتـه التى يقعـّد فيها للتصـوف ، ويضمنها خـلاصة أفكاره ونظرته ـ فى الإشارة إلى الألفة بين العبد والرب ـ مقطوعة يقول فيها :

كلّما قلـت : سيـدى ... قـال لى : أنت مـالكـى
سـدَّ والله كـون ... عبدى علىَّ مسـالكـى
مـالنـا عنه صـارف ... فى جميـع المدارِكِ
لسـتُ فى عينـه ولا ... فعلـهِ بـالمشـارِكِ
فهـو المالـك الـذى ... ليس يـدعـى بمالـكِ
وأنـا الخادم الـذى ... يعْتنـى بـالممالـكِ
قلـت يـاربّ عصمـة ... مـن سبيـل المهـالـك
قال : سمعا فأنت عبدى ... مـن أهـل الأرائك
فى سرورٍ وغبطـةٍ ... لا مـن أهـل الـدرائك

ويوضح الـدكتور محمود قاسـم فى كتابه عن ( الخيـال فى مذهب محيى الدين بن عربى ) كيف سبـق ابن عربى شعراء الرومانتيكية فى العصر الحديث إلى إدراك أن الخيال أعظم قوة خلقها الله ، وهو يرمى فى المقام الأول إلى الربـط بين الكشف الصوفى وهذه القـدرة التى يصفها بـأنها استمرار لعمليـة الخلـق الإلهى : « فليـس للقدرة الإلهيـة فيما أوجدته أعظم وجودًا من الخيـال ، فبه ظهرت القدرة الإلهية والاقتدار الإلهى ، فهو أعظم شعـائر الله على الله ، ومن قوة حكم سلطانه ما تثبته الحكماء ، مع كونهم لا يعلمون مما قالـوه ، ولا يوفونه حقه ، وذلك أن

الخيال ـ وإن كان من الطبيعة ـ فله سلطان عظيم على الطبيعة بما أيده الله من القوة الإلهية » .

ومن هنا كان تفسير ابن عربى لما أنعم به الله عليه من فتوحات ضمنها كتابه « الفتوحات المكية » القائم على أن هذا الكتاب ليس إلا وليد تلك الصور الخيالية التى كان يتلقاها ـ كمحب ـ بعين الخيال فى حال اليقظة وأحيانًا فى أحلامه ، ويصف هذا كله بأنه نوع من الإلقاء الإلهى الذى ينزل على قلبه . ويلحّ ابن عربى ـ خشية المسارعة إلى اتهامه ـ فى تأكيد أن ما يتلقاه من فيوض وفتوحات ليس شبيهًا بالوحى الذى اختص الله به رسله إذا انقطعت النبوة والرسالة بموت الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنما هو جود إلهى ، أو هو ضرب من الحكمة ، تلك الحكمة التى لا يعلمها إلاَّ من أوتيها « فهى هبة من الله تعالى » كما وهبنا وجود أعياننا ولم نكن شيئًا وجوديًا .. وهذا الكتاب من ذلك النمط .. فوالله ما كتبت منه حرفًا إلا من إملاءٍ إلهى ، وإلقاء ربانى ، أو نفث روحانى فى روع كيانى .. هذا جملة الأمر مع كوننا لسنا برسل مشرعين ولا بأنبياء مكلفين ، فإن رسالة التشريع ونبوة التكليف قد انقطعت عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلا رسول بعده ، ولا نبى يشرع ولا تكليف ، وإنما هو علم وحكمة وفهم من الله فيما شرعه على ألسنة رسله وأنبيائه عليهم سلام الله .. وما خط فى لوح الوجود من حروف العالم وكلمات الحق ، فالتنزيل لا ينتهى بل هو دائم دنيا وآخرة :

الله أنشأ من طيٍّ وخولان
جسمى ، فعدلنى خلقا وسوانى

وأنشـــأ الحق لى روحــا مطهــرة
فليـس بنيـان غيرى مثـل بنيـانــى
إنــى لأعرف روحـا كـان ينزل بــى
مــن فــوق سبع سماوات بفـرقـان

يريد قوله تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ﴾ .

[ سورة الأنفال : الآية ٢٩ ]

ويؤكد الدكتور محمود قاسم (١) كما يؤكد سائر الباحثين أن ابن عربـى فى نثره وشعـره ـ لم يحب أحـدًا فى الحقيقة سـوى الله ، ولكنه احتجب عن الله تعالى بحب زينب وسعاد وهند وليلى والدينار والدرهم، فكل هذه الضروب من الحب ليسـت إلا صـورًا أو رموزًا لحقيقة كبرى لا يمكن التعبير عـن جمالها وجلالها ، إلا إذا سلك العاشـق لها سبيل الغزل والتشبيب لكـى يصور فيها ما استطاع ، ما يختلـج بفؤاده من حب وهيام .

يقول ابن عربى :

كـل مــا أذكـره مــن طلـل — أو ربــوع أو مغان كـل مــا
وكذا إن قلــت ها أوقلـت يـاً — وألا ، إن جـاء فيه ، أو أمــا
وكذا إن قلت هـى أوقلت هو — أوهمو،أوهنّ جمعًا ، أو هما
وكذا إن قلــت : قد أنجـد لى — قــدر فى شعــرنــا أو أتهما
وكذا السـحب إذا قلــت بكت — وكذا الــزهر إذا مــا ابتسما

---

( ١ ) الخيال فى مذهب محيى الدين بن عربى ( فصل عن الحب الإنسانى والحب الإلهى ) للدكتور محمود قاسم .

أو أنـادى بحداةٍ يمموا بانة الحاجز أو ورق الحمى
أو بدور فى خدودٍ أفلت أو شموسٍ أو نباتٍ أنجما
أو بروق أو رعودٍ أو صبا أو رياح أو جنوب أوسما
أو طريق أو عقيقٍ أو نقا أو جبالٍ أوتلال أو رما
أو نساءٍ كاعبـاتٍ نُهدٍ طالعاتٍ كشموس أو دمى
كل ما أذكره مما جرى ذكره ، أو مثله أن تفهما
منه أسرار وأنوار جلت أو علت جاء بها رب السما
لفؤادى أو فؤاد من له مثل مالى من شروط العُلما
صفة قدسيةً علوية أعلمت أن لصدقى قدما
فاصرف الخاطرعن ظاهرها واطلب الباطن حتى تعلما

ومن هنا يمكن تذوق وتفسير الكثير من الآثار الشعرية لابن عربى، فى الحب الذى وجده ذوقا ، ففاق كونه عشقا مفرطا ، وهوى مقلقا وغراما ونحولا ، وامتناع نوع ، دون أن يتحدد المحبوب .

يقول ابن عربى :

علقت بمن أهواه عشرين حجة
ولم أدر ما أهوى ، ولم أعرف الصبرا
ولا نظرت عينى إلى حسن وجهها
ولا سمعت أذناى قط لها ذكرا
إلى أن تراءى البرق من جانب الحمى
فنعمنى يوما ، وعذبنى دهرا

ويقول فى المعنى نفسه :

علقت بمن أهـواه من حيث لا أدرى
ولـم أدر من هـذا الذى قـال لا أدرى
فقد حرت فى حالى وحارت خواطرى
وقـد حـارت الحيرات فىَّ وفى أمـرى
فبينـا انـا مـن بعـد عشريـن حجـة
أتـرجـم عـن حـب يعـانقـه سرى
ولم أدر من أهوى ، ولا أعـرف اسمه
ولم أدر من هذا الـذى ضمَّه صدرى
إلى أن بـدا لى وجههـا مـن نقـابها
كمثـل سحاب الليـل أسفـرعن بـدر
فقلـت لهم : مـن هـذه ؟ قيـل هـذه
بُنَيَّةٌ عين القلـبِ ، بنت أخـى الصدر
فكبرت إجـلالا لها ، ولأَجلهـا
فليلى بها أربـى على ليلـة القـدرِ

ويروى ابن عربى فى كتابه ، « محاضرة الأبرار ومسامرة الأخبار » حديثًا عن ابن باكويه عـن أبى الفضل القطان عن جعفر الخلدى قال : سمعت الجنيد يقول : حججت على الوحدة فجاورت مكة فكنت إذا جن الليل دخلت أطوف ، فإذا بجارية تطوف وهى تقول :

أبى الحب أن يخْفـى وكم قـد كتمته
فـأصبـح عنـدى قـد أنـاخ وطنّبـا
إذا اشتد شـوقى هـام قلبى بـذكره
وإن رمـت قربـامن حبيبـى تقربـا

ويبدو فأفنى ، ثم أحيا بذكره
ويسعدنى حتى ألَذَّ وأطربا

فقلت لها : يا جارية ، أما تتقين الله فى هذا المكان ، تتكلمين بهذا الكلام ؟ فالتفتت إلىّ وقالت : يا جنيد :

لولا التقى لم ترنى أهجر طيب الوسن
إنَّ التقى شردنى كما ترى عن وطنى
أفر من وجدى به فحبه هيّمنى

ثم قالت : يا جنيد ، تطوف بالبيت أم برب البيت ؟ قلت أطوف بالبيت . فرفعت رأسها إلى السماء وقالت : سبحانك ، ما أعظم شأنك فى خلقك ، خلق كالأحجار يطوفون بالأحجار ، ثم أنشأت تقول:

يطوفون بالأحجار يبغون قربةً
إليك ، وهم أقسى قلوبًا من الحَجرْ
وتاهوا ، ولم يدروا من التيه من همو
وحلوا محل القرب فى باطن الفِكرْ
فلو صدقوا فى الود غابت صفاتهم
وقامت صفات الود للحق فى الذِّكرْ

قال الجنيد : فغشى علىَّ من قولها ، فلما أفقت لم أرها .

والمتأمل فى آثار هؤلاء المتصوفة والعشاق الهائمين فى ساح الحب الإلهى يرى أنها تصدر عن مبدأين يحكمان الأمر كله ، أولهما أن العقل الإنسانى وحده غير كاف فى الهداية إلى الله ، فليس فيه غناء فى هداية

الإنسان إلى الإيمان الحق . ومن هنا ، فهم جميعًا يلجأون إلى القلب واستشعار الحب الإلهى طلبًا لنور الهداية والإشراق العلوى . وهى السبيل المألوفة للنجاة عندهم . فالعقل - فى رأيهم - لا يستطيع حل كثير من المسائل .

يقول الغزالى وهو يتحدث عن الصوفية : « وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع ، فظهر لى أن أخص خواصهم مالا يمكن الوصول إليه بالتعلم ، بل بالذوق والحال ، وتبدل الصفات[1] وكان قد حصل معى من العلوم التى درستها والمسالك التى سلكتها فى التفتيش عن صنفى العلوم الشرعية والعقلية ، إيمان يقينى بالله تعالى ، وبالنبوة ، واليوم الآخر ، فهذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت فى نفسى ، لا بدليل معين محرر ، بل بأسباب وقرائن ، وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها » .

ويوضح الغزالى أن وصوله إلى طريق الأمن واليقين لم يكن بنظم دليل وترتيب وكلام ، بل بنور قذفه الله تعالى فى الصدر :

« وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف ، فمن ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف ، ومادام الأمر للذوق والكشف ، فطريق الصوفية إذن مفتاحها هو استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية فى الله » .

والمبدأ الثانى فى فكر هؤلاء المتصوفة من العشاق أن العاطفة

---

( ١ ) المنقذ من الضلال - للغزالى تقديم الدكتور / عبد الحليم محمود .

لا العقل هي السبيل للوصول إلى الله ، يقول الغزالى « كان ذلك أول حال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ـ حين تبتل ، حين أقبل إلى غار حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد ، حتى قالت العرب : إن محمدا عشق ربه » .

وهكذا كان الحب الجسدى فى آثار هؤلاء العشاق طريقًا إلى الحب الإلهى ، إذ الجمال فى الخليقة مرآة جمال الله ، وهؤلاء يذهبون فى شرحهم لخلق الكون إلى أن الأصل فيه الجمال الإلهى ، وذلك أن الصفة الجوهرية فى الجمال هى أنه بطبعه ميال إلى الظهور والإيحاء بنفسه . وهذا هو الباعث لدى الجمال الأقدس أن يخلق ليعرف بهم ، ويعتمد الصوفية فى هذا على الحديث القدسى : « كنت مخفيا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق ، فبى عرفونى » .

ولما أراد ذو الكمال المطلق والجمال الاسمى أن يعرف ، كان لابد أن يعرف بمخلوقات فيها نقص وفيها شر ، ليدل نقصهم على كماله وخيره كما يدل الظلام على النور ، وقد بقيت بالضرورة فيهم لمحات من أنوار مشوبة بألوان ظلمات ، وهذه اللمحات هى مرآة النور المطلق الذى لا لون له ، وتنأى الخلائق عن الله بمقدار انغماسها فى المادة وظلماتها ، لأنها تبعد بذلك عن النور المطلق المتصف به واجب الوجود. وتقرب من الكمال بمقدار بعدها عن ظلمات المادة وتعلقها بمظاهر الجمال والخليقة ، وهذا الجمال هو مرآة ذى الجلال ، حتى ترقى بالحب الإلهى إلى الفناء فى الذات الإلهية ، وتعود بذلك إلى أصلها الذى صدرت عنه . فالجمال الإلهى هو الأصل فى الخليقة ، والفناء فيه عن

طريق المحبة هو طريق الارتقاء إلى العلم الأقدس ، ومن أسباب المحبة التأمل فى جمال الوجود ، إذ أن ذلك الجمال فيض من جمال واجب الوجود.

فهؤلاء العشاق من المتصوفة ـ بتأملهم فى جمال الخلق ـ يتقربون إلى جمال الحقّ ، وبطول تأملهم فيه ، يعتريهم ذلك الشعور الفياض ، الذى يستغرقون فيه ـ حتى يصلوا إلى حالة الوجود ـ ويغيبون عن وعيهم الحسّى ويعتريهم من الهيام بالله ما يرقصون فيه طربًالاهجين بذكر الله أو مردِّدين اسمه على لسانهم فى حلقات الذكر .

* * *

وهذه النماذج المختارة من قصائد الحب الإلهى عند أشهر العشاق والمتصوفة وأصدقهم تجربةً ووجدا ذات قيمة فنية وإنسانية رفيعة ، حتى وإن لم نستطع الوصول إلى أعماق معانيها ودلالاتها الخبيئة . فهى أولاً تجارب حياتية صادقة لدى هؤلاء المتصوفة الحقيقيين الذين لم يكونوا فى طريقهم أو مذهبهم بأدعياء . ومن شأن هذه التجارب الصادقة أن تثرى الحياة إذا انسكب تصويرها والتعبير عنها من خلال أقلام ذوى المواهب والقدرة ، وفى هذا يفترق الأدب الصوفى عن أدب الصنعة والتكلف ، وعن أدب التكسب والارتزاق الذى منى به الشعر الغنائى العربى ، فاستنفد طاقات شعرية خلاقة أو كاد يستنفدها ، كانت جديرة بما هو أرقى وأسمى من عطاء الفن والخلود لو انصرفت إلى تصوير ما عانته من تجارب الحياة والعصر ، مخلصة فى التعبير عن هواجس النفس وهموم الذات وتجارب الوجدان . ولقد

كان الصدق دعامة الأدب الصوفى فى عصوره الأصلية ـ قبل أن يدركه التقليد على أيدى فقراء الموهبة وفاقدى التجربة ـ وكان صدق التناول فيما بين الشاعر ونفسه سبيلا إلى التجويد فى التعبير عن حميّا هذه التجارب ونضج تصويرها الفنى .

ومن هنا ، يلاحظ المتأملون فى هذه النماذج الرفيعة ، أن أدب الصوفية فى شعرهم ونثرهم ـ يخفى دلالته الايجابية المستترة على الرغم من مظهره السلبى الخادع وطابع تشاؤمه الموغل فى الحزن . ذلك أن هذا الأدب ـ فى مجموعه ـ كان هروبًا من الحياة وانسحابًا من الواقع المثقل بالأسى والظلم والتخلف ، ولكن المتصوفة عرفوا كيف يضفون على هذا الهرب أبعادًا تتجاوز مجرد الشكوى والأنات ، وحزن الضعف والتوانى ـ عندما هربوا بفكرهم إلى الطبقات العليا من أجواء الروح المتعالية والنفس المتسامية والخيال الحرّ الطليق .

صحيح أن هؤلاء الصوفية ـ من العشاق ـ قد عزفوا عن نشدان السعادة فى هذه الحياة ، لأنهم يائسون من الظفر بها فى الحياة الدنيا ، واتجهوا مخلصين إلى نشدان سعادتهم فى العالم الآخر داعين إلى التعجيل بالرحيل من هذه الدنيا عازفين عن كل ما تحفل به من ماديات ومتع موقوته ، ولكنهم فى تبرير مسلكهم هذا قد صوروا ـ فى صدق وروعة وأصالة ـ ما حفلت به عصورهم من شرور ومآثم ، وكانوا فى هذا المجال أعمق إدراكًا وأقوى دلالة من سواهم من الكتاب والشعراء الذين جاروا عصورهم ومالئوا المستبدين بها ، وتستروا على ما زخرت به من زيف وطغيان ، وقد كان هذا الطغيان فى أكثر حالاته طغيان

سلطان المال فى تلك المجتمعات التى استبد فيها سلطان الفرد كما انسحقت الغالبية تحت رحى الإقطاع فتلاشت مواهب كثيرة ، وتبددت طاقات خلاقة ووئدت أصوات كانت تُبشّر بانطلاقات جديدة عارمة ، وانطمست معالم الرأى السليم والفكر الناضج .

لهذا ، فلن نجد فى تاريخ الآداب الإسلامية هجاء للملوك والمستبدين أشد مما صدر عن الصوفية ، ولا ضيقًا بالمال وعُباده والمستعبدين للناس عن طريقه كما نجد فى أشعار الصوفية وأدبهم كلّه . إلى جانب ما قضوا به على الأثرة وحبّ الذات فيما صوروا ودعوا، فالحب عندهم ـ يجب أن يتسع مجاله لحب الإنسان وخدمته والرثاء له وهدايته ، دون بغض لأحد أو انتقام من أحد . ولعل « الحلاج » ـ الذى عاش فى القرن الثالث الهجرى ـ أكثر من التصقت به هذه الإيجابية بين الصوفية ، وتتفق الروايات القديمة فى سوقها لأخباره على الإشارة إلى دوره البارز فى عصره حين دعا إلى مذهب سياسى وروحى يقوم على فقه معين ورياضيات صوفية تتميز كلها بالتطرف والشدة والإصرار على الوصول إلى الهدف مستهينًا بالعقبات ولو بلغت الموت نفسه ، وحاول أن يجد له أنصارًا بين الفقراء والطوائف المختلفة والمعارضين للدولة العباسية دون جدوى .

وفى أثناء القحط والمجاعة وخطر الدولة الفاطمية ـ على الدولة العباسية الموشكة على السقوط أمامها ـ وارتفاع الأسعار ، وكسر السجون وإحراق الجسور وسقوط الوزارة وعزل الخلفاء ، وجد الوزير حامد بن عباس أن قتل الحلاج قد يشغل الناس ويخفف من

التوتـر الاجتماعى والسيـاسـى ويلقـى الرعـب فى قلوب المعـارضـين ، وانتهى الأمر بالحكم على الحلاج بالإعدام ، ضرب ألف جلدة ثم قطعت أطرافـه الأربعة وضربت عنقه وأحـرقت جثته ثم ذرى رمـاده فى دجلة وحمل رأسـه إلى خـراسـان حيث كـان لـه فيهـا أصحـاب وأتبـاع ومريدون[1].

يقول الحلاج فى وصف موعد حب :

لى حبيـــب أزور فى الْخلـــوات
حـــاضر غـــائب عـــن اللحظـــات
مـــا تـرانـــى أصغـى إليـــه بسرى
كـى أعـــى مـا يقـــول مـن كلمات
كلماتٍ مـــن غير شكـــلٍ ولا نقـْــطٍ
ولا مثـــل نغْمـــةِ الأصـــواتِ
فكـــأنـــى مُخاطـــبٌ كنـــتَ إيـّـاه
على خـــاطـــرى ، بـذاتـــى لـــذاتـــى
حـــاضرٌ غـــائب قـــريـــبٌ بعيـــدٌ
وهـــو لم تحْوهِ رســـومُ الصفـــاتِ
هـــو أدنـــى مـــن الضمير إلى الـــوهـــم
وأخفـــى مـــن لائح الخطـــراتِ

ويقول الحلاج ــ وهو معنى انتهبـه من بعده كثير مـن الشعراء ،

---

( ١ ) ديوان الحلاج « المقدمة » تحقيق الدكتور / كامل مصطفى الشيبى ( بغداد ) .

وأداروه على محاور عدة فى الغزل الحسّى ، بما يخرجه عن طابعه الصوفىّ الأصيل ـ :

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا
نحن روحان حلَلْنا بدَنا
نحن ، مذكنا على عهد الهوى
نَضربُ الأمثال للناس بنا
فإذا أبصْرتنى أبصْرته
وإذا أبصرْته أبصرْتنَا
أيها السائل عن قصّتنا
لو ترانا لم تُفرق بيْننا
روحه روحى وروحى روحه
من رأى روحين حلّت بدَنا

ومن الأشعار المنسوبة إلى الحلاج ، والعميقة الدلالة فى الإبانة من مذهبه وأسلوبه فى تمثل الحب الإلهى ، مقطوعة ذاعت شهرتها على الألسنة والأقلام ونسب بعض أبياتها إلى شعراء آخرين من شعراء العصر العباسى وأصبح جزءًا من تراثه الغنائى .

يقول فيها الحلاج :

والله ما طلعت شمس ولا غربت
إلا وحبّك مقرونٌ بأنفاسى
ولا جلستُ إلى قوم أُحدّثهم
إلا وأنت حديثى بين جُلّاسى

ولا ذكرتـُك محزونـًا ولا فـرحـًا
وإلا وأنـت بقلبـى بينَ وسـواسـى
ولا هممـت بشرب الماء مـن عطـش
إلا رأيـت خيـالاً منـك فى الكـاس
ولـو قـدرْت على الإتيـان جئتكمـو
سعيًا على الوجـه أو مشيًا على الراس
ويـا فتـى الحىِّ إن غنيتَ لى طـربـًا
فغـنِّ وارحْمتـَا من قلبـك القـاسـى
مـا لى وللنـاس كم يلحـوْننـا سفهـًا
دينـى لنفسـى وديـن الناسِ للنـاسِ

ويبدو أن المستشرق الفرنسـى ما سينيون هو صـاحب الفضل فى إحيـاء ذكر الحلاج منـذ بدايـة القرن العشريـن ، عندمـا نشر ديوانـه وكتابه الهام الطـواسين والنصوص التى دارت حولـه ، ونبّه إلى أهمية الحلاج من خـلال رسالته عنه التـى أسماها « عذاب الحلاج » ومقـالـه الهام الذى أسماه « المنحنى الشخصـى فى حياة الحلاج » حيث تحدث عن عظاتـه ومواجده وبثه لـلآراء الإصلاحية واتصالـه ببعض وجوه الدولـة العباسية وجمع الفقراء مـن حوله ، ممـا أدى إلى نهاية الحلاج المأساوية جزاء فكره وثوريته ، وهو المعنى نفسه الذى أخذ به الشـاعر الراحل صلاح عبـد الصبور حين كتب مسرحيته الشعرية عـن مأساة الحلاج ، جـاعلاً منـه داعية ورمـزًا للثـورة والتمرد ونصيراً للفقـراء والمعدمين ، وشهيدًا من شهداء الكلمة والإيمان بالحرية .

يقول صلاح عبد الصبور على لسان الحلاج :

أراد الله أن تجلى محاسنه وتستعلن أنواره
فأبدع من أثير القدرة العليا مثالاً صاغه طينا
وألقى بين جنبيه ببعض الفيض من ذاته
وحلاه وزينه ، فكان صنيعه الإنسان
فنحن له كمرآةٍ ، يطالع فوق صفحتها
جمال الذات مجلوا ، ويشهد حسنه فينا
فإن تصْفُ قلوب الناس ، تأنس نظرة الرحمن
إلى مرآتنا ، ويديم نظرته ، فتحيينا
وإن تكدُرْ قلوبُ الناسِ يصرفْ وجهه عنَّا
ويهجرنا ويجفونا
وماذا يفعل الإنسان إن جافاه مولاه ؟
يضيق الكون فى عينيه ، يفقد ألفة الأشياء
تصير الشمس فى عينيه أذرعةً من النيران
يُلقى ثقلُها المشّاء
على وجه السَّما والأرض ألوانا من اللهب
ويضحى البدر دائرةً مهشمة رمادية
من القصدير ميتةً وملقاة على بيداء
فقد جفّت عيون الناس ، أضحت نقطة سوداء
وتذوى أذرعُ الأشجار ، تلقى حملها للأرض
وتدفنه كمجهضةٍ تُكفّنُ عارهَا فى الطين

ويمشى القحطُ فى الأسواقِ ، يجبى جزيةالأنفاس
من الأطفال والمرضى
حقيبته بلا قاعٍ ، فلا تُملأ إذ تعطى
ورغبته بلا رِيٍّ ، فلا تسكت أن تسأل
وخلفَ القحطِ ، يمشى تحت ظلِّ البيرق المُسْدلْ
جنودُ القحْطِ ، جيش الشرِّ والنقمة
خلائقهم مشوهةٌ ،كَأَنَّ الذيلَ فوق الرأس
يقود خطاهمو إبليس وهو وزيُر مُلْكِ القحْط
وليس القتل والتدجيلُ والسَّرقُ
وليس خيانةُ الأصحاب والمَلَقُ
وليس البطشُ والعدوانُ والخَرَقُ
سوى بعض رعايا القحْطِ ، جند وزيره إبليس
تعالى الله ، قد يأنفُ أن ينظر فى مرآتنا ذاته
فيصرف وجهه عنَّا ،
فكيف إذن نُصفّى قلْبنَا المُعتمْ
ليستقبل وجه الله ، يستجلى جمالاته
نُصلِّى ، نقرأ القرآن ،
نقصد بيته ، ونصوم فى رمضانْ
نعمْ ،
لكنَّ هذى أول الخطوات نحو الله
خطى تصْنعها الأبدان

وربّى قصدُه للقلب
ولا يرضى بغير الحبّ
تأمل ، إن عشقتَ ألسْتَ تبغى أن تكون شبيه محبوبكْ
فهذا حبنا لله
أليس الله نور الكون !
فكن نورًا كمثلْ الله
ليستجلى على مرآتنا حسْنه

وحين يقف الحلاج بين يدىْ جلّاديه من قضاة عصره ـ الذين باعوا ضمائرهم للسلطان وأعمتهم الغواية عن رؤية الحق ومعاينته فأصدروا حكمهم من قبل أن تبدأ المحاكمة ـ يهدر صوت الحلاج فى مسرحية صلاح عبد الصبور مُلوحًا فى وجه هؤلاء الذين يحاكمونه بأنهم ليسوا قضاته ، ولذا فلن يدافع عن نفسه ضدَّ اتهامه بإفساد صعاليك العامة .

يقول الحلاج :

أنا رجلٌ من غمارِ الموالى ، فقير الأرومة والمنْبتِ
فلا حسبى ينتمى للسمّاءِ ، ولا رفعتْنى لها
ثروتى
ولست كآلافِ مَنْ يولدون بآلاف أيامِ هذا الوجود
لأن فقيًرا بذات مساءٍ سعى نحو حضنِ فقيرة
وأطفأ فيه مرارةَ أيامه القاسية
نموت كآلاف من يكبرونَ ، حين يقتاتون خُبزَ

الشموسْ
ويُسقونَ ماءَ المطرْ
وتلقا همو صبيةً يافعين حزانى على الطُرقاتِ
الحزينة
فتعجب كيف نموْا واستطالوا وشبت خُطاهُم
وهذى الحياةُ ضنينةْ
تسكَّعت فى طُرقاتِ الحياةِ ، دخلت سراديبها
المُوحشاتْ
حجبت بكفى لهيب الظهيرة فى الفلوات
وأشعلت عينى ، دليلى ، أنيسى فى الظلمات
وذوّبت عقلى ، وزيت المصابيح ، شمس النهار
على صفحات الكتب
لهثت وراء العلوم سنين ، ككلب يشم روائح صيد
فيتبعها ، ثم يحتال حتى ينال سبيلا إليها
فيركض ، ينقض
فلم يسعد العلم قلبى،بل زادنى حيرة واجفة
بكيت لها وارتجفت
وأحسست أنى وحيد ضئيل كقطرة طل، كحبة
رمل
ومنكسر تعس ، خائف مرتعد
فعلمىَ ما قادنى قط للمعرفة

وهبنى عرفت تضاريس هذا الوجود
مدائنه ، وقراه ووديانه ، وذراه
وتاريخ أملاكه الأقدمين
وآثار أملاكه المحدثين
فكيف بعرفان سر الوجود ، ومقصده ، مبتدا أمره، منتهاه
لكى يرفَعِ الخوفَ عنّى،خوْفَ المنونِ، وخوْفَ الحياةِ، وخوفَ القَدرْ
لكى أطمئن .
سألت الشيوخَ ، فقيل :
تقَرَّبْ إلى الله ، صلِّ ليرفعَ عنك الضلالَ ، صلِّ لتسعدْ
وكنت نسيتُ الصلاة ، فصلَّيْتُ لله ربِّ المنونِ ، وربِّ الحياة ،وربِّ القَدرْ
وكان هواءُ المخافة يَصْفِرُ فى أعظمى ويئزّ كريحِ الفَلا
وأنا ساجدٌ راكعٌ أتعبدْ
فأدركتُ أنىَ أعبدُ خوفىَ لا الله
كنت به مشركًا لا موحِّد
وكان إلهىَ خوفى
وصليتُ أطمعُ فى جنته

ليختالَ فى مُقلتيَّ خيالُ القصورِ ذوات القبابْ
أسمع وسوسة الَحلْيِ ، همسَ حرير الثيابْ
وأحسسْتُ أنى أبيع صلاتى إلى الله
فلو أُتقنت صَنعة الصلوات لزادَ الثمن
وكنت به مشركًا لا مُوحدْ
وكان إلهى الطمع
وحير قلبى الطمع
تُرى ، قُدّر الشركُ للكائنات
وإلا فكيف أصلى له وحده
وأُخلى فؤادىَ عما عداه
لكى أَنزع الخوْفَ عن خاطرى لكى أطمئن
لكى أطمئن

فى هـذه المونولـوجـات الطويلـة على لســان الحلاج ، يتضـح مـدى استيعاب صلاح عبد الصبور لأدقّ أسرار التجربة الصوفية ، عند كبار العشاق والمحبّين ، من نفى للقدرة على المعرفـة بواسطة العقل ، فالقلب هو المدخل والطريق ، ورفضٍ لفكرة أن تكون العبادة قائمة على مجرد الخوف أو الطمع ، حتـى يكون أسـاسـها المحبـة والتوجـه الخالص ، والذوبان والفناء فى المعشوق ، عندئذ ينتزع الخوف من المحب وتسكنه الطمأنينة ويتحرر من الرغائب والشهوات . ويستمر صوت « الحلاج » يفيض بـالتحدى ويبتل بالمزيـد من الشجون ، وينْدىَ بلغـة الإفضاء ومكاشفة الأسرار :

كما يلتقى الشوقُ الصحارى العطاشِ ، بشوقِ
السحابِ السخىّ
كذلك كان لقائى بشيخى
أبى العاص عمرو بن أحمد ، قدَّسَ تُرْبتَه ربُّه
وجمَّعنا الحبُ ، كنت أحب السؤال ، وكان يُحب
النّوال
ويُعطِى ، فيبتلُّ صخرُ الفؤاد
ويُعطى ، فيخضر غصْنى
ويعطى ، فيُزهر نُطقى وظنّى
ويخلعُ عنى ثيابى ، ويُلبسنى خِرْقةَ العارفينْ
يقولُ هو الحب ، سر النجاةِ ، تعشَّق تفز
وتْفنَى بذاتِ حبيبك ، تصبحُ أَنتَ المصُلّى ، وأنتَ
الصلاة وأنت الديانةُ والربّ والمسجدُ
تعشَّقتُ حتى عشقتُ
تخيلتُ حتى رأيت
رأيت حبيبى ، وأتحفنى بكمالِ الجمال، جمال
الكمالْ
فأتحفته بكمال المحبة
وأفنيتُ نفْسىَ فيه

* * *

هذه السطور العامرة بنفحات الوجد وحرارة المعانة وفرح المعاينة والانكشاف هى دليل على امتداد خيوط التجربة الصوفية فى العشق الإلهى حتى يومنا هذا ، وكيف أن التألق فى التعبير عنها رهن بتوافر الصدق الشعورى الذى يتوهج من خلال قيم التعبير ، لتكتمل لهذه التجربة أبعادها فى الحس والتذوق وآثارها فى القلب والوجدان .

ولسوف تستمر هذه الخيوط والروافد ، مستمرة وممتدة ، فى رحلة الإنسان مع الكون ، ما بقى هذا الإنسان ، وما استمر انخلاعه وانخطافه نحو المجهول ، واحتضانه لطمأنينة الإيمان واليقين ، وتوجهه بالمحبة الكاشفة التى تنفض عنه الخوف وتملأ زوايا نفسه بالخشوع ، وتفجر هذا الشعر الأصيل النبيل ، المتوهج بعطاء الرحلة ، المثقل بمخاطر الترحال .

فمادام المحبوب هو الحق ، فإن العارف يظل دائم المشاهدة له وكلما ازداد مشاهدة زاد هياما ووجدا فالاشتياق يهيج باللقاء ، ويُظمئه الوصال ، وتشعله المعاينة ، وكلما اجتمع العاشق بمحبوبه أدرك أنه لا يشبع من مشاهدته ولا يروى ظمأه منه ، فكلما نظر إليه زاد وجدًا به وشوقاً مع حضوره معه .

ومن عجب أنى أحنُّ إليهمو
وأسأل شوقًا عنهمو وهمو معى
وتبكيهمو عينى وهم فى سوادها
وتشتاقهم نفسى وهم بين أضلعى

# تعاظمنى ذنبى

***للإمام الشافعى***

« تعاظمنى ذنبى ، فلما قرنْته
بعفْوك ربّى ، كان عفْوكَ أعْظمَا
ومازلْتَ ذا عفوٍ عن الذّنْبِ ، لم تَزلْ
تجودُ وتعفو منّةً وتكرما »

« هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس ، يتصل نسبه بنسب الرسول الكريم ، ولد بغزة ، ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين ، «وحُببَ إليه العلم منذ صباه فجالس العلماء وأخذ عنهم ، ثم وفد على الإمام مالك فى المدينة وحفظ الموطّأ ، ثم ارتحل إلى اليمن فالعراق ينشر علم الحديث وفقه السنة ويستخرج الأحكام ثم جاء إلى مصر سنة مائة وتسع وتسعين هجرية، وصنَّف فيها مذهبه وألف فى علم الأصول ، واعترف له الناس بالإمامة وأصبح أحد الأئمة الأربعة المجتهدين . وتوفى بمصر سنة مائتين وأربع هجرية عن أربع وخمسين سنة » .

يقول الإمام الشافعى :

إليـــكَ إلــه الخلـــق أرفــعُ رغبتـــى
وإن كنــتُ يا ذا المن والجودِ مجرمــا
ولما قســا قلبـى وضَاقـتْ مـذاهبـى
جعلـْتُ الـرَّجـا منــى لعفـْوِكَ سُلما
تعــاَظَمنــى ذنبـى فلما قــَرنتـــُه
بعفـوكَ ربــِّى كـان عفــُوكَ أَعْظَمَا
ومازلـْتَ ذا عْفوٍ عـن الَّذنـبِ لم تَزَلْ
تجوُّد وتعفــو منـــَّةً وتكــرمـــا
ولـولاك مــا يقـْوى بإبليـس عـابدٌ
وكيـف وقـد أغــْوى صفيـَّكَ آدمـا
فــإن تعـفُ عنى تعـفُ عــن متمـرد
ظلـــومٍ غشـُومٍ لا يــزايـلُ مـــأْتماَ
وإن تنتقـمْ منـــِّى فَلسـْتُ بـَآيـسٍ
ولو أدخلــتْ نفسى بِجـُرمِى جَهنمًا
فجـرمى عظيـمٌ من قـديمٍ وحـادثٍ
وعفـْوُك يـأتـى العبـدَ أعلَى وأجْسَما
تعــاظمنى ذنبــى ، فأقبلــت خاشعـًا
ولــولا الرضــا مــا كنت يـاربّ منعما

حـوالى فضـلُ الله مـن كـلِّ جـانـبٍ
ونـورٌ مـن الـرحمن يُفترشُ السَّما
وفى القلـب إشراقٌ المُحـب بـوَصْلـهِ
إذا قـارب البشرى وجازَ إلى الحمـى
حـوالى إينـاسٌ مـن الله وحـْدَهُ
يُطـالعنـى فى ظُلمـةِ القلـْبِ أنجُما
أصـون ودادى أن يـدنّسـهِ الهوى
وأحفـظُ عهـدَ الحبِّ أن يتثلَّما
ففى يقْظتـى شوقٌ وفى غَفْوتـى مُنىً
تـلاحـق خَطْوى نشـوةً وتـرنّما
ومن يعتصـم بالله يسلمْ مـن الورى
ومـن يـرجُـهُ هيهـات أن يتنـدَّمـا
إليـك إلـه الخلـقِ ، أرفـعُ رغْبتـى
وإن كنتُ ياذا المنّ والـوجودِ مجرما

# هــوانا حجــازىٌّ

*لأبى حمزة الخراسانى*

أراك وبــى مــن هيبتــى لــك وحشــةٌ
فُتؤنسنــى باللطـفِ منك وبــالعطفِ
وتُحيــى مُحبــا أنــت فى الحب حتفــه
ومن عجــبٍ كونُ الحياة مــع الحتْفِ

« هو أبو حمزة الخراسانى من كبـار أعلام القرن الثالث الهجرى ، أقام بنيسابور وصاحب الجنيـد والخراز وأبا تراب ، وذاعت له شـهرة واسعة بفضل علمه وورعه وتقاه ، توفى سنة مائتين وتسعين هجرية ، وله قصائد تفيـض بصدق العاطفة الدينيـة وسُموّ الحب الإلهى ، من بينها هذه المقطوعة التى أنشدها فى معنى الشهود والرضا بالحبيب » .

يقول أبو حمزة الخراسانى :

أهـابُك أن أُبـدى إليـك الذى أُخفـى
وسرِّىَ يبـدى مـا يقـولُ لـه طـرْفى
نهانى حيـائى منك أن أكتـُم الهوى
وأغْـنَيْـتَنِى بالفهم منك عن الكشفِ
تلطّفتَ فى أمـرى فأبـديَت شـاهدى
إلى غائبـى واللُطفُ يـدركُ باللطـفِ
تـراءيـتَ لى بـالغيـبِ حتـى كـأنما
تُبشّرنـى بـالغيـبِ أنـك فى الكـفِّ
أراك وبـى مـن هيبْتـى لـك وحشـةٌ
فتؤنسنـى باللُّطف منك وبـالعطفِ
وتُحيـى مُحبـاً أنـت فى الحبّ حتفـه
ومن عجـب كونُ الحياة مـع الحتْفِ
فيا شـوقُ رفْقاً بـالذىً أنـت مُشعلٌ
فلـوعتُك الحرّى تجلُّ عـن الوصـفِ
ويـا قلـبُ هـذا مـوعـد لمتيـّم
تفيض دموع العين منـهُ ، ولا تكفى
ويا نفـسُ هبت مـن رياض أحبتـى
نسائم جادت حُفّلاً مـن شذا العرفِ

تـرُاوحنـــا ريـّا الصَّبـــا فى هُبـوبها
فــأنشـــقُ منهـا مــا يُقبّلـــه طـرفى
هــوانــا حجـازىٌّ ونجـدٌ هــى المنــى
وإصباحُنا المأمـول يَخفى ولا يُخفى
مُعنـّى ومـا بين الأضـــالـع سـورةٌ
غـوائلهـا تــرتـج فى هــزة الــرجـفِ
ومــاضٍ لما أَسْعـى إليـــه ، كـأننـى
أسيرُ على ظلِّى وأسعـــى إلى حتفـــى
فلـــو أبصرتْنـى أعينٌ مستهــامـــةٌ
لفاضت مــآقيها دمًا ساخــنَ الوكْفِ
وكيف أهابُ الزَّحفَ أو أرهبُ السُّرى
إذا كان مـن أَهواه مولاىَ فى الـزَّحْفِ
أمـولاى صبرنــى على ما أصـابنــى
فأنــت الذى تكفى وأنت الـذى تُعفى
ولا تجعلـنْ حبــلَ العـذاب مُخلــدًا
ولا كالــذى عذَّبتَ قارون بــالخسْفِ
وهـــا أنـــا أخفـى الـدمـع والسر بيّنٌ
بوجهى، وتأبى المقْلتانِ سوى الذَّرفِ

يُبين لســانــى عــن فــؤادى وربَّما

أسر لسانــى ما يبــوحُ به طــرفى [1]

---

( ١ ) هذا البيت والأبيات الثلاثـة السابقة له تروى ـ مع اختلاف فى السياق ـــ للشاعر العباس بن الأحنف .

## غريب الدار

*للبرعى*

« إلهى أقلْنى عثرتى ، وتولَّنى
بعفوٍ ، فإن النائبات لها عُنفُ
خلعتُ عذارىً ثم جئتك عامدا
بعذرى ، فإن لم تعفُ عنّى، فمن يعفو »

« عاش الإمام عبد الرحيم البرعى فى القرن الخامس الهجرى ، ويقال إنه أول من توله فى حب الرسول الكريم ، وشعره يدل على صدق العاطفة فى الحب ، مع سهولة ورقة فى التعبير .

والبرعى يمنى الأصل ، حجَّ عدة مرات ، وتوفى فى الطريق من مكة إلى المدينة ودفن بوادى البرعى ـ وله ديوان مجموع مطبوع يضم أشعاره فى الحب الإلهى والمدائح النبوية » .

يقول البرعى :

عســـى من خفــيٍّ اللطــف سبحــانَهُ لُطــفُ
بعطْفـــة بــرٍّ ، فـــالكـــريـــم لــه عطــفُ
عســـى مــن لطيــف الصُنــع نَظــرةُ رحمةٍ
إلى مــن جفــاهُ الأهــل والصحــبُ والإلــفُ
عســـــى فــرجٌ يــأتــى بــه الله عــاجــلاً
يُسرُّ بــــه الملهــوفُ إذ غمـــّه اللهـــفُ
عســـــى لغـــريــب الــدار تــدبير رأفــةٍ
وبــرٌّ مــن البـــارى إذا العيــش لم يصــفُ
عســـــى نفحـــةٌ فـــرديـــةٌ صمـــديـــةٌ
بها تنقضــى الحاجــات والشمـــل يلتــفُ
فـــإنـــىَ والشكـــوى إلى الله ، كـــالـــذى
رمـــى نفْســـه فى لجةٍ مـــوجُهـــا يطفـــو
فمــــن محن الأيـــام قلبـــــى معـــذّبٌ
أَلَمَّ بـــروحـــى قبــل حتــْفِ الفنـــا حتــْفُ
وإنـــى لأرضـــى مـــا قضـــى الله لى ولـــو
عَبـــدْتُ على حـــرفٍ لأزوى بـــىَ الحرْفُ
ولم أبــْن حُســـنَ الظــنِّ فى سيـــدى على
شَفــا جــُرفٍ هـــارٍ فينهـــار بـــى الجرفُ

ولكن دعوت الله يكشفُ كربتي
فما كربة إلا ومنه لها كشفُ
فكم بُسطت كفّ بسوء تريدني
فقال لها الكافى ألا غُلب الكفُ
وكم هم صرفِ الدهر يصرفُ نابه
على ، فجاء الغوثُ وانصرف الصرفُ
ولم أعتصمْ بالله إلا ومد لى
من البِرِّ ظلا فى رضاه له وكْفُ
وإنى لمستغن بفقرى وفاقتى
إليه ، ومُستقوٍ وإن كان بى ضعْفُ
وفى الغيب للعبد الضعيف لطائفٌ
بها جفّت الأقلام وانطوت الصحفُ
فكم راح روح الله فى خلقه ، وكمْ
غدا قبل أن يرتدَّ للناظر الطرفُ
بقدرة من شدّ العرى وبنى السما
طرائق فوق الأرض فهى لها سقفٌ
ومن نصب الكرسىّ والعرش ، واستوى
على العرش والأملاك من حوله حفّوا
ومن بسط الأرضين فهى بلطفه
لحيٍّ بنى الدنيا وميّتهم ظرْفُ

وألقـــى الجبـــال الشـــمَّ فيهـــا رواسيـــًا
فليس لها مـــن قبـلِ مـوعـدهـــا نسْـفُ
وألبسهـــا مـــن سنـــدس النَّبـتِ بهجـــةَ
مـــن القطـر مـــا صِنْـفٌ يشـابهه صِنـْفُ
وسخـــرَّ مـــن نشر السحـــاب لـــواقحـًا
إذا انتشرت درَّت سحـــائبهـــا الـــوطـــفُ
وأنشـــأ مـــن ألفـــافهـــا كـــلَّ جنـــة
بها الأبُّ والـــريحانُ والحَب والعصـــْفُ
ويعلـــم مسرى كـــلِّ ســـارٍ وســـاربٍ
ومـــا أعلنـــوه مـــن خطـــايا ومـــا أخفـوا
ويـدرى دبيب النمـــل فى الليـــل إن سَعـتْ
وإن وقفـت مـــا أمكـن السعـُى والـوقـفُ
ووزن جبـــال كـــم مثـــاقيـــل ذرةٍ
وكيـــْل بحـــارٍ لا يغيِّضهـــا نـــزْفُ
وكـمْ فى غـــريـب الملـك والملَكوت مـــن
عجـــائب لا يُحصـــى لأيسرهـــا وصـْفُ
فسبحـــانـــه إن هـــمَّ وهـــمٌ لـــذاتـــهِ
بكـــف وتكييـــفٍ يُلجِّمـــهُ الكـــفُ
ولم تُحِط الســـتُّ الجهـــاتُ بـــذاتـــه
فـــأيـــن يكـون الأيـْنُ والقَبـــْلُ والخلـْفُ

إلهى أقلْنى عثْرتى وتولَّنى

بعفو فإنَّ النائباتِ لها عنْفُ

خلعتُ عذارى ثم جئتكُ عامدًا

بعذرى ، فإن لم تَعفُ عنى فمن يعفو

وأنت غياثى عند كلِّ ملمةٍ

وكهفى إذا لم لى يبق بين الورى كهف

فكم صاحب رافقته ليكون لى

رفيقًا ، فأضحى وهو بادى الجفا خُلفُ

وما شئت من قومٍ أعدُّ صديقهم

إذا استنصرُوا زالوا وإن وزنوا خفّوا

طباع ذئابٍ فى ثياب جميلةٍ

بصائرهم عُمىٌ ، قلوبُهمو غُلْفُ

تلوحُ عليهم للنفاق دلائلٌ

وبالحكِّ يبدو الزيف والذَهَبُ الصّرفُ

فحُلْ سيدى ما عشتُ بينى وبينهم

بحوْلك حتى يخضع الفرد والألْفُ

لأنك معروفٌ ومنك عوارفٌ

إذا استُنكر المعروفُ وانقطع العُرْفُ

وأثبت بنور العلم والحلم منك لى

سعادة حظ ما لمثبتها حذْفُ

وأيّد بحـــرف الكــاف والنـــون حُجّتـــى
ليسبـــق لى مـــن كـلِّ صـــالحةٍ حـــرفُ
وأكـــرْم لأجلى مـــن يلينـــى وأعطنـــا
مـن النـــار أمْنـًا يـــوم كـُلٌّ لـــه ضعـفُ
وصــــلّ على روح الحبيـــب محمـــدٍ
صـــلاةً عـــلاهـــا النـــور وانتشر العـَرْفُ

# نــار ليــلى

*للشّهرزورى*

نــــارنــا هــــذه ، تضـــىء لمن يســْـ
رى بليـــــلٍ ، لكنّهـــا لا تنيـــــلُ
هـــذه حــــالُنــا ، ومــا وصــــل العلـْـ
ـمُ إلينـــــا ، وكـــــلُّ حـــــالٍ تحولُ

« هو عبد الله بن القاسم الشهـرزورى ـ نسبه إلى مدينة شهرزور فى كردستان ، شاعر عالم وأديب فقيه ومحدث بارع حكيم . توفى سنة خمسمائة وإحدى عشرة هجـرية ، وهــو قليل الحظ مــن الشهرة بين الأدباء والمتأدبين وإن كان عظيم القدر بين عشاق المتصوفة فى زمانه .

وهو فى قصيدته هذه ينسج على منــوال غير مألوف عندما يستهلها بـوصـف ابتداء الـرحلـة ، رحلـة البحـث عـن الحقيقة المطلقـة ، عـن معشوقتـه.. ليلاه ، ثـم يصف أشـواق الرحلـة وما لاقـاه من معـاناة ومكـابدة ، وصــولاً إلى النار التــى كـان يظنها ستنيـل ، حيث الظفـر بالوصـال ولقاء المحبوب » .

يقول الشهرزورى :

لمعتْ نارهم وقد عسعسَ الليـْ
ـلُ ، وملَّ الحادى ، وحار الدليلُ
فتأملتها وفكرى من البيـْ
ـن عليلٌ ولحْظُ عينى كليلُ
وفؤادى ذاك الفؤادُ المعنَّى
وغرامى ذاكَ الغرامُ الدخيلُ
ثم قَبلتُها وقلتُ لصحْبى
هذه النارُ ليلى فميلوا
فَرموا نحْوهَا لحِاظًا صحيحا
تٍ ، فعادت خواسئاً وهى حُول
ثم مالوا إلى الملام وقالوا
خُلَّبٌ ما رأيـْتَ أم تخييلُ
فتجنبتهم ومِلْتُ إليها
والهوى مركبى وشوقى الزميلُ
ومعى صاحبٌ أتى يقتفى الآ
ثارَ والحبُّ شأنهُ التطفيلُ
فَدنونا من الطلولِ ، فَحالتْ
زفراتٌ من دونها وعويلُ
قلتُ : من بالديار ؟ قالت : جريحٌ
وأسير مُكبَّلٌ ، وقتيلُ

مالـذى جئْتَ تبتغى ؟ قلـت : ضيفٌ
جـاء يبغـى القرى ، فـأيـن النـزُولُ
فـأشارتْ بـالرّحـب دونـك فاعقـرْ
هـا فما عنْدنـا لضيْف رحيـلُ
مـن أتـانـاألقـى عصـا السيْر عنـه
قلـت : مـن لى بذا ؟ وكيـف السبيـلُ
فحططْنـــا إلى منـــازل قـــوم
صرعتهـم قَبـلَ المذاق الشَّمـولُ
ومـن القـوم مـن يشيرُ إلى وجـْـ
ــد تبقـّى عليـه منـهُ القليـلُ
قلـت : أهـل الهوى سـلامٌ عليكـم
لى فـؤادٌ عنكـم بكـم مشغـولُ
لم يـَزلْ حـافـز مـن الشـوق يحدو
بـى إليكـم والحادثـاتُ تحولُ
جئـتُ كـى أصطلى ، فهـل لى إلى نـا
ركمـو هـذه ، الغـداةَ سبيـلُ
فـأجـابـت شـواهـد الحال عنهـم
كـلُّ حـدٍّ مـنْ دونها مفلـولُ
نـارُنـا هـذه ، تضُـىء لمن يسـ
ـرى بليـلٍ ، لكنهـا لا تُنيـلُ
هـذه حـالُنـا ، ومـا وصـل العلـ
ـم إلينـا ، وكـلُّ حـال تحولُ

# تــه دلالًا

## لابن الفارض

كــلُّ مـــن فى حماكَ يهواكَ ، لكـــن
أنـــا وحـدى بكـل مـن فى حماكـــا
يُحشر العـــاشقــون تحت لـــوائي
وجميـــع الملاحِ تحْتَ لـــــواكـــا

« هو إمام المحبين وسلطان العاشقين أبـو حفص عمر بن الفارض ولد فى القـاهرة سنة خمسمائة وسـت وسبعين هجرية لأسرة شـامية الأصل تنتسب إلى مـدينة حماة ،ونشأ نشأة دينية فى كنـف والده ابن الفارض الذى كان أحد كبار علماء الدين فى زمانه ، وأتيح له أن يدرس الفقـه والحديـث وأن يتردد على مجالـس العلم ، وأن يـدرس طـريـق الصوفية متنقـلاً فى سياحته الروحيـة بين وادى المستضعفين فى جبل المقطم وأوديـة مكة التى قضـى بها خمسة عشر عـاما عاد بعـدها إلى مصر مفعمًا بالأشواق والوجد والهيام حيـث كانت وفاته سنـة ستمائة واثنتين وثلاثين هـجرية .

وقد اشتهر شعره لامتـلائه بالمعانى الصوفية الرمـزية ، ولقوة ما تميز به من أداء وتعبير ، وعاطفة حارة متوهـجة ، وخيال محلق » .

يقول ابن الفارض :

تـــه دلالاً فـــأنــت أهـــلٌ لــذاكـــا
وتَحكّمْ فـــالحســـن قـــد أعطـــاكـــا

ولـــك الأمرُ فـــاقـضِ مـــا أنتَ قـــاضٍ
فعلىَّ الجمالُ قــــــد ولاّكــــــــا

وتـــلافى إن كـــــان فيــــه ائتـــــلافى
بـكَ ، عجـِّل بـه جُعلـــتُ فـداكـــا

وبما شئـــت فى هـــواكَ اختبرنــــى
فـــاختبـارى مـــا كان فيـه رضـــاكـــا

فعلى كـــلِّ حـــالـــةٍ أنـــت منـــِّى
بـــى أولى ، إذْ لم أكـــنْ لـــــولاكـــا

وكفـــــانـــــى عـــــزًّا بحبـــِّك ذُلِّى
وخضــوعـــى ، ولســت مــن أكفــاكـــا

وإذا مـــا إليـــك بـــالـوصـــل عـزَّتْ
نسبتـــــى عـــزَّةً وصـــحَّ ولاكـــا

فـــاتهامـــى بالحب حسْبـــى ، وإنـــى
بين قـــومـــى أُعـــدُّ مـــن قَتـْلاكـــا

لـــك فى الحىِّ هـــالـــكٌ بـــك حـــىٌّ
فى سبيـــل الهوى استلـــذَّ الهلاكـــا

عبـــد رقٍّ مـــارقَّ يـــومـــًا لعتـــق
لـــو تخَليـْتَ عنـه مـــا خـــلاّكـــا

بجمالٍ حجبْتــــــهُ ، بِجـــــلالِ
هــامَ واستعــذَب العــذابَ هنـــاكـــا
وإذا مــا أمــنُ الــرجـــا منــه أدنـــا
كَ ، فَعنـــهُ خــوفُ الحِجى أقصـــاكـــا
فبـــإقـــدام رغبـــةٍ حين يغشـــا
كَ ، بـــإحجـامِ رهْبـــةٍ يخشـــاكـــا
ذاب قلبـــى فـــأذنْ لـــه يتمنـــاًّ
كَ ، وفيـــه بقيـــةٌ لـــرجـــاكـــا
أومـــر الغمْـضَ أن يمـــُرّ بِجفْنـــى
فكـــأنّـى بـــه مُطيعـــاً عصـــاكـــا
فعســـى فى المنــام يعرضُ لى الــوهـــ
ــمُ ، فيـــوُحـــى سرًا إلىَّ سُراكـــا
وإذا لم تُنعـــش بـــروح التمنّـــى
رمقـى ، واقتضـى فنــائى بقـاكـــا
وحَمت سُنـــةُ الهوى سِنــةَ الغَمــْـ
ــضِ جفـُونـــى ، وحرَّمــت لُقْيـاكَـــا
أَبــْقِ لى مقْلـــةً لعلِّـــىَ يـــومـــًا
قبـــل مـــوتـــى أرى بها مـــن رآكـــا
أيــن منّى مـــا رمتُ هيْهـــاتَ ، بل أيـــ
ــنَ لعينـــى بـــالجفـــنِ لَثْـمُ ثـراكـــا

فَبشيرى لــو جاء منــْكَ بعطــفٍ
ووجـودى فى قبضتــى ، قلتُ هــاكــا
قــد كفــى ما أرى دمــا مــن جُفــونٍ
بـك قرْحــى ، فهل جـرى مــا كفاكــا
فــأجـِـر مــن قـِـلاكَ فيك مُعنــىَّ
قبــل أن يعــرفُ الهوى يهواكـــا
هبــْكَ أنَّ الــلاَّحــى نهاهُ بِجهــلٍ
عنـْكَ قـُلْ لى عن وصلــه مـنْ نهاكَـا
وإلى عِشْقـــــِكَ الجمالُ دعـــــاهُ
فــإلى هجـْره تـُرى مـــن دعــاكـــا
أتـُرى مــَنْ أَفْتـَاكَ بـالصــدِّ عنــيِّ
ولغيرى بــالـــودِّ مـــَنْ أفتـــاكـــا
بـانكســارى بـِذلَّتــى بخضــوعــى
بــافتقــارى بفــاقتــى بِغنــاكـــا
لا تكلنـــى إلى قـــوى جَلـَـدٍ خـــا
نَ ، فـإنــى أصبحتُ مـن ضُعفــاكــا
كنـت تجفـو وكــان لى بعـضُ صبْرٍ
أَحْسـَنَ اللهُ فى اصطبـارى عــَزَاكــا
كـم صـدودًا عساكَ تـرحـمُ شكــوا
ى ، ولــو بــاستماع قـَولى عســاكــا

شنــَّع المُرجفــون عنــك بهجــرى

وأشــاعــوا أنّــى سَلــوتُ هــواكــا

مــا بــأحشــائهــم عشقــْتُ فــأسلــو

عنك يــومًا ، دع يهجــروا ، حاشــاكا

كيـــف أسلـــو ومقلتـــى كُلما لا

حَ بـــريــقٌ تلفَّتـــَت لِلقـــاكـــا

إن تنَسمـــتُ تحت ضـــوءِ لثـــام

أوتنسمـْتُ الــريــحَ مـــٍنْ أنْبـاكــا

طِبـْتُ نفْسـًا إذْ لاح صُبــحُ ثنــايــا

كَ لعيْنــى ، وفــاح طيــبُ شـــذاكــا

كــلّ مـــن فى حِماكَ يهواكَ ، لكــن

أنـــا وحـدى بكــلٍّ مــن فى حماكــا

فيــك معنـــىً حــَلاكَ فى عيْن عقلى

وبـــه نــاظــرى مُعنـــَّى حــِلاكــا

فُقـْتَ أهل الجمالِ حُسْنــًا وحُسْنــى

فبهــمْ فـــاقـــةٌ إلى معْنـــاكـــا

يُحشر العـــاشقــون تحت لــوائي

وجميـــع الملاحِ تَحْتَ لـــواكـــا

مــا ثنــانــى عنــْكَ الضَّنــى فبماذا

يـــا مليــح الــدَّلالِ عنـــّى ثنــاكــا

لـــك قـــربٌ منّـــى ببعـــدك عنـــّى

وحنـــو وجـــدتـــهُ فى جَفـــاكـــا

علـّم الشـــوق مقلتـــى سهـــر اللَّيـْـ

ـــلِ ، فصـــارتْ من غير نـــومٍ تـــراكـــا

حبـــَّذا ليلـــةٌ بها صـــِدْتُ أسرا

كَ ، وكـــان السُهـــادُ لى أشراكـــا

نـــاب بـــدر التمام طيـــْفَ مُحيـــًّا

كَ لِطـــرفْى ، بيقظتـــى إذ حكـــاكـــا

فتراءيـــــــت فى ســـــــواكَ لعينٍ

بـــك قـــرَّتْ ومـــا رأيـــت ســـواكـــا

وكـــذاك الخليـــــلُ قلّـــب قبلى

طـــرْفـــه حين راقـــبَ الأفـــلاكـــا

فـــالـــدياجـــى لنـــا بـــكَ الآن غـــرٌّ

حيـــث أهـــديـــتَ لى هُدًى مـــن ثنـــاكـــا

ومتـــى غبـــْتَ ظـــاهـــرًا عـــن عِيـــانـــى

أُلفـــِه نحـــو بـــاطنـــى ألفـــاكـــا

أهـــل بـــْدرٍ ركـــبٌ سريـــْتَ بليـــْلٍ

فيـــه بـــل ســـار فى نهارٍ ضيـــاكـــا

واقتباسُ الأنـــوار من ظـــاهرى غيـــْـ

ـــر عجيـــبٍ وبـــاطنـــى مـــأواكـــا

يعْبَق المسْكُ حيثما ذُكِرَ اسْمى
منذ ناديْتَنى أقبِّلُ فاكا
ويضوع العبير فى كلِّ نادٍ
وهو ذكرٌ مُعبِّرٌ عن شذاكا
قال لى حسنُ كلِّ شىءٍ تجلَّى
بى تملى فقلتُ قصدى وراكا
لى حبيبٌ أراكَ فيه معنًّى
غُرَّ غيرى وفيه مَعْنىً أراكا
إن تولَّى على النفوس تولَّى
أو تجلَّى يستعبدُ النُسَّاكا
فيه عوِّضتُ عن هُداى ضلالاً
ورشادى غيًّا وسترى انهتاكا
وحَّد القلبُ حُبَّه فالتفاتى
لك شِرْكٌ ولا أرى الإشراكا
يا أخا العذْلِ فى من الحسْن مثْلى
هام وجْدًا به عدِمْتُ أخاكا
لو رأيت الذى سبانى فيه
من جمالٍ ولن تراهُ سباكا
ومتى لاح لى اغتفرْتُ سُهادى
ولعينىَّ قلتُ هذا بِذاكا

# مريضة الأجفان

لابن عربى

بأبى طفلةٌ لعوبٌ تَهادى
من بناتِ الخدور بين الغوانى
طلعت فى العِيان شمسا ، فلما
أفلت أشرقت بأفق جنانى

هو محيى الدين بن عربى ، الحاتمى الطائى الأندلسى . ولد بمرسية إحدى بلاد الأندلس سنة خمسمائة وستين هجرية ، وانتقل إلى إشبيلية فى الثامنة من عمره ، فقرأ بها العلوم على مشاهير زمانه ثم سافر إلى مصر ودمشق وبغداد ، وجاور فى مكة ، وأقام فى بلاد الروم طلبًا للعلم والسياسة ، وتوفى بالشام عن ستة وسبعين عاما، ودفن فى مسجد يحمل اسمه فى سفح جبل قاسيون بعد حياة حافلة جلبت عليه الكثير من الأنصار والأعداء .

وقد ترك ابن عربى مؤلفات كثيرة أشهرها « الفتوحات المكية » الذى يعدُّ واحدًا من أمهات كتب التصوف الإسلامية ، وديوان شعره «ترجمان الأشواق » الذى يمتلئ بقصائد فى الغزل يرمز بها إلى المعانى الروحية والدلالات الصوفية .

يقول ابن عربى :

مـرضـى مـن مــريضـةِ الأجفـانِ
علـِّلانـى بـذكـْـرِهـا ، علـّلانـى
هفـت الـوُرْق بـالريـاض ونـاحـتْ
شجْـوُ هـذا الحمامِ ممـا شجـانـى
بـــأبـى طفلـــةٌ لَعــوب تهادَى
مـن بنــات الخدورِ بين الغـوانـــى
طلعـــتْ فى العيـانِ شمسـًا ، فلما
أفلـتْ أشرقـتْ بـأفــقِ جَنـانـــى
يــا طلـــولاً بــِرامـةٍ دارسـاتٍ
كــم رأتْ مـن كـواعـبٍ وحســانِ
بـــأبـى ثـم بـى غــزالٌ ربيــبٌ
يــرتعـــى بين أضلعـــى فى أمـــانِ
مــا عليـه مـن نـــارهـا فهـى نـور
هكـــذا النـــورُ مُخمــدُ النيران
يــا خليلىَّ عــرجــا بعيــانـــى
لأرى رســْم دارهـــا بعيـانـــي
فـــإذا مــا بلغتما الـــدار حُطـا
وبها صـــاحبــىَّ ، فَلتبكيـــانـــى

وقفـا بـى على الطلـول قليـلاً
نتبـاكـى ، بـل أَبْـكِ ممـا دهـانـى
الهوى راشقــى بغير سهــامٍ
الهوى قـــاتلى بغير سنـــانِ
عـرّفـانــى إذا بكيـتُ لـديْها
تُسعـدانـى على البُكـا تُسعـدانـى
واذكــرا لى حـديـث هنـدٍ ولبنـى
وسليْمـــى وزينــبٍ وعِنــانِ
ثـم زيـدا مـن حـاجـر وزرود
خبرًا عـن مـراتـع الغـزلان
وانـدبانــى بشعـرِ قيـسٍ وليلى
وبمــــيٍّ ، والمبتلَى غيــــلانِ
طـال شـوقــى لطفلـةٍ ذات نثـرٍ
ونظـــامٍ ومنـــبرٍ وبَيـــانِ
مـن بنـاتِ الملـوك مـن دار فُـرسٍ
مـن أجـلِّ البـلاد مـن أصْبهـانِ
هـى بنـتُ العـراق بنـتُ إمـامـى
وأنـا ضـدّهـا سليــلُ يمــانى
هــل رأيتـم يـا سـادتـى أو سمعتـم
أن ضـدَّيْـن قــطُّ يجتمعــانِ

لو ترانا برامةٍ نتعاطى
أكؤُسًا للهوى بغير بَنانِ
والهوى بيننا يسوقُ حديثًا
طيبا مطربا بغير لسانِ
لرأيْتم ما يذهبُ العقلُ فيه
يمنٌ والعراقُ معتنقانِ
كذب الشاعر الذى قال قبلى
وبأحجارِ عقْله قد رمانى :
« أيها المنكح الثريا سُهيْلًا
عَمْرَكَ الله كيف يلتقيان
هى شاميةٌ إذا ما استهلّت
وسُهيلٌ إذا استهلَّ يمانى[1]

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

( ١ ) هذان البيتان منسوبان للشاعر عمر بن أبى ربيعة .

# ربّة السّتر

*للإمام الصرصرى*

سيرى فأنوار أقمار المحامل إن
حار الأدلةُ فى البيْداء تهديكِ
فَتحتِ بالرشدِ عن عينىَّ بعد عمىً
وأسمعَ السرَّ من قلبى مناديكِ

« هو الإمام العالم جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصرىّ العراقى ، كان ضريرًا ، ولكنه كان تقيا ورعا وأديبًا بارعًا وله ديوان شعرى كبير أكثره مدائح فى الرسول الكريم ، مات على أيدى التتار ـ عند سقوط بغداد ـ سنة ستمائة وست وخمسين هجرية » .

يقول الإمام الصرصرى :

ياربـةَ الستر لا انجابت غواديك
عـن جـوٍّ مغْنـاكِ أو يَخضر واديـك
وأنـت يا عَـذَباتِ البـانِ ، لا برحـتْ
تهيـجُ أشــواقنـا ألحانُ شــاديـكِ
وماسَ من كلِّ غُصـنٍ منك من طربٍ
عِطــفٌ وتهْتِ دلالاً فى تهاديــكِ
ويــامياه الحمــى لازلْـتِ طيبــةً
يُروى بشربِ الزّلالِ العـذب صاديكِ
ويـا نسيم صبـا نجـدٍ لقـد عرفـتَ
روحى بمسراكِ وَهْنـاً عرفَ مهـديكِ
ويـاليـالينـا لله عيــشُ هــوًى
مــع البـدور تقضــىَّ فى دآديـكِ
ويـا فـوارط أيـامــى بخيْف منــى
لـو كان يُفـدى زمـانٌ كنـتُ أَفديـكِ
ويــا رســائلَ وجـدٍ لا أبــوحُ بهـا
إلى الأحبــةِ عنـدى مــن يـؤدّيـكِ
أُخفيـك عن عـُذَّلى صــونـًا وتكرمـةً
بــل المدامـعُ والأنفـــاس تُبـديـكِ

ويـا ركاب الحجـازِ القُودَ ، لانقبـتْ
مـن السَّرى أبـدًا أخفــافُ أيـديـكِ
ولا عـدلْتِ عـن النهـجِ القويـمِ ، ولا
مـالـت إلى غير أحبـابــى هـواديـكِ
ونلْـتِ ما شئـتِ مـن وردٍ ومن كـلأٍ
ولا نبـا السمعُ عـن تغريـد حاديـكِ
كمْ ذا التَّمادى،ذرى التَّعليلِ وابتدرى
إلى الحمـــى ، فَعنـــائى فى تماديـــكِ
سيرى فـأنـوار أقمار المحـــامـل إن
حـــار الأدلـــّةُ فى البيـــداء تهديـــكِ
ويـا قبـابَ حمى سَلْعٍ حـويـْت على
رقـىٍّ بما أسلفـت عنـــدى أيـاديـكِ
فَتحْتِ بالـرشدِ عن عينىَّ بعـد عمىً
وأسمـعَ السر مـن قلبـــى مُنـاديـكِ
حـــقٌّ علىَّ أُوالى مـــن بـــه اعتلقـــتْ
أسبـابـــهُ وأُعـادى مـن يُعـــاديكِ
إنـــى وإن تكُ أضحـت عنـك نازحـةً
دارى لأرعـى بظَهْـرِ الغيـب واديـك
لازال سُكـــانـكِ القُطـــَّانُ فى دعـــةٍ
وفـاز رائحـكِ السَّـارى وغـاديـكِ

وأنت لا تجزعـي يا نفـسُ من بـدعٍ
مضلــةٍ وضيـــاءُ اللهِ هـــاديـــكِ
أجـــارَكِ اللهُ لـــولا درعُ سُنتـــهِ
لكـان سـهـمُ الهوى الفتّاك يـُرديـكِ

# وارحمتا للعاشقين

*للسهروردى*

« لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى
كتمانهم ، فنما الغرامُ ، فباحوا
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها
لما دروا أن السماح رباحُ»

« هو شهاب الدين عمر السهروردى ، ولد فى سهرورد وقرأ كتب الدين والحكمة وأقام فى مراغة وبغداد وحلب ، حيث كان مقتله بأمر السلطان صلاح الدين بعد أن نسب البعض إليه فساد المعتقد ، ولتوهم صلاح الدين أن السهروردى يفتن ابنه بالكفر والخروج على الدين ـ وكان مقتله بقلعة حلب سنة ستمائة وخمس وستين هجرية ـ مع أنه كان من كبار المتصوفة فى زمانه ومن أفقه علماء عصره بأمور الدين والفلسفة والمنطق والحكمة ، ويسمى مذهبه الذى عرف به «حكمة الإشراق » .

ويروون أنه قال وهو يجود بأنفاسه الأخيرة :

قــل لأصحـــابٍ رأونـــى ميتـــا
فبكـــوْنـــى إذ رأَوْنـــى حــَزنـــا
لا تظنـــونـــى بـــأنـــى ميـــتٌ
ليـــس ذا الميـــّت والله أنـــا
أنـــا عصفـــورٌ وهـــذا قَفصـــى
طـــرت عنــــه فتحلَّى رَهَنـــا
فـاخلعـوا الأنفس عـن أجسـادهـا
فترون الحقَّ حقـــاً بيّنـــا
لا تـــرعكـــُم سَكـــْرة الموت فما
هـــى إلا بـــانتقـــالٍ مـــن هنـــا

يقول السهروردى :

أبــــــدًا تحن إليكــــــم الأرواحُ
ووصـــــالكـــم ريْحانُها والــــرَّاحُ
وقلــوبُ أهــلِ ودادكـــم تشتــاقكـم
وإلى بهاء جمالكـــم تـــرتـــاحُ (١)
وارحمتـــا للعـــاشقين تحمَّلـــوا
ثقـــل المحبـــة والهوى فضـّــاحُ
أهــل الهوى قسمان : قســم منهمــو
كتمــوا ، وقســمٌ بــالمحبــة بــاحـوا
فــالبائحــون بِسرهم شربــوا الهوى
صِرْفــًا فهــزهموا الغــرام فبــاحـوا
والكــاتمون لسرهـــم شربــوا الهوى
ممـــزوجـــةً فَحمتْهمـــو الأقــداحُ
بــالسر إن بــاحـوا تبــاحُ دمــاؤهــم
وكـــذا دمـــاء البـــائحين تُبـــاحُ
وإذا همو كتمـــوا تحدَّث عنهمـــو
عنـــد الـــوشــاة المدمــعُ السَّفـــاحُ

---

( ١ ) فى رواية أخرى للبيت : وإلى لذيذ لقائكم ترتاح .

وبدت شواهدُ للسَّقام عليهمو
فيها لمشكلِ أمرهم إيضاحُ
خُفض الجَناحُ لكم ، وليس عليكمو
للصبِّ فى خفْضِ الجناح جُناحُ
فإلى لقاكم نفسهُ مرتاحةٌ
وإلى رضاكم طرفهُ طماحُ
عودوا لنور الوصل من غَسقِ الدُّجى
فالهجر ليلٌ والوصال صَباحُ
صافاهمو فصفوا له ، فقلوبهم
فى نورها المشكاةُ والمصباحُ
وتمتعوا فالوقت طاب بقربكم
راق الشراب وراقت الأقداحُ
يا صاح ليس على المحب ملامةٌ
إن لاح فى أفق الصباحِ صباحُ
لا ذنب للعشاق إن غلب الهوى
كتمانهم ، فنما الغرامُ ، فباحوا
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها
لمَّا دروا أن السَّماحَ رباحُ
ودعاهمو داعى الحقائق دعوةً
فَغدوْا بها مستأنسين وراحوا

ركبوا على سفُن الوفا ، ودموعهم
بحرٌ ، وشدّة شوقهم ملاَّحُ
والله ما طلبوا الوقوف ببابهِ
حتى دعوا ، وأتاهمو المفتاحُ
لا يطربون لغير ذكر حبيبهم
أبدًا ، فكلُّ زمانهم أفراحُ
حضروا وقد غابت شواهدُ ذاتهم
فتهتكوا لما رأوهُ وصاحوا
أفناهمو عنهم وقد كُشفت لهم
حُجب البَقا فتلاشت الأرواح
فتشبهوا إن لم تكونوا مثْلَهم
إنَّ التشُّبه بالكرامِ فلَاحُ

ويضيف الصوفية إلى قصيدة السهروردى أبياتًا أخرى كثيرة ، من بينها مقطوعةُ نظمت على غرار القصيدة الأصلية ، وحملت طابعها فى التعبير وطريقتها فى بناء الصور الشعرية والدوران حول قاموسها المختار من الكلمات والإشارات :

أيامنا بلقائكم أفراحُ
وجميع أيام الملِاحِ ملاحُ
قل للمحب إذا تهتَّك فى الهوى
إن التهتَّك فى الغرام مُباحُ

واخلــْـع عِـذَارك لا تُبــالِ بعـــاذلٍ
واطـــربْ وغـنِّ فما عليــك جُنـــاح
أهـــل المحبـــة حين طـــاب شرابهم
بـاعـوا النفوس لِحبهـم وارتــاحـوا
شربوا كؤوس الحب فى حـان الصَّفا
فتمايلـــــت سكــــــرا بها الأرواحُ
بـــالانكســـار تحمّلـــوا فى حبــّه
فبـــدا عليهـــم مـــن رضــاهُ سَماحُ
خلع الحبيبُ عليهمو خلـعَ الرِّضــا
وأنـــالهم مـــن فضلــه الفتـــَّاحُ
مــلأ الحبيـــب قلـوبهم مـــن نـوره
فشــذاهمو مـــن عطـــره فـــواحُ
تحيى الحبيـب بذكـرهم وبنـورهم
وتـــزول عنـــد لقــاهمو الأتـــراح
كـــلُ القلـــوب لهم تحن تشـّـوقـــًا
وتُحبّهـــم ، وبحبِّهـــم تـــرتـــاحُ
فتشبهـــوا إن لم تكـونـــوا مثلهـــم
إن التشبــُّــه بـــالكـرام فَـــلاحُ

# إلهــى يا سمــيع

*لأحمد البدوى*

« إلهى ثـــوب جسْمــىَ دنَّستــهْ
ذنــوبٌ حِملُهـــا أبـــدًا ثقيـــلُ
إلهى جـــد بعفـــوك لى فـــإنـــى
على الأبـــواب منكسر ذليـــلُ »

« هو أبو العباس أحمد البدوى القرشى ، كـان مولده بمدينة فاس بالمغـرب ، هاجر مـع والده وأهله إلى مكـة حيث تعلم القـرآن والعلوم الشرعية ، ثم حببت إليـه الخلوة والوحدة فاعتزل النـاس وظهرت عليه دلائل البركة والـولاية ، ثم هـاجر إلى العراق حيـث لقى من شيـوخها وعلمائهـا الترحيب ، ثـم جـاء إلى مصر فى عصر الظـاهر بيبرس الـذى استقبله أروع استقبال بعـد أن طبقت شهرته الآفاق لعلمـه وصلاحه وتقواه ونـزل فى مدينة طنطا حيـث كانت وفاتـه سنة ستمائة وخمس وسبعين هجرية زاهدًا متعففًا ورعًا ، وفقيهًا من فقهاء المذهب الشافعى وأعلامه » .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يقول أحمد البدوى :

إلهى أنت للإحسان أهلٌ
ومنك الجود والفضل الجزيلُ
إلهى بات قلبى فى همومٍ
وحالى لا يُسرٌّ به خليلُ
إلهى تب وجُد وارحم عُبيْدًا
من الأوزار مدمعهُ يسيلُ
إلهى ثوب جسْمىَ دنستهُ
ذنوبٌ حملها أبدًا ثقيلُ
إلهى جُد بعفوك لى فإنى
على الأبواب منكسرٌ ذليلُ
إلهى حُفّنى باللطف يا منْ
له الغفرانُ والفيضُ الجزيلُ
إلهى خانَنى جَلَدى وصبرى
وجاء الشيبُ واقترب الرحيلُ
إلهى داونى بدواء عفوٍ
به يشفى فؤادى والغليلُ
إلهى ذاب قلبى من ذنوبى
ومن فعْلِ القبيح أنا القتيلُ

إلهى رَدِّنـــى بـــرداءِ أنســـى
وألبسْنِـى المهابـــةَ يـا جليـلُ
إلهى زحـزحِ الأســـواء عنـــى
وكـنْ لى نـــاصرًا نِعـْمَ الكفيـلُ
إلهى سيدى ، سنـدى وجـاهـى
فمالى غير عفـــوكَ لى مقيــلُ
إلهى شتِّتـتْ جيـْش اصطبـارى
همومٌ شرحُهــا أبـدًا يطـولُ
إلهى صرتُ مـن وجـدى أُنـادى
أنـا العاصـى المسـىء ، أنـا الذليـلُ
إلهى ضـاع عمـرى فى غـرور
وفى لهْوٍ وفى لعـــبٍ يطـــولُ
إلهى طـــالما أنعمـــْتَ منـــًّا
بجـودٍ منــك فضْــلاً يستطيــلُ
إلهى ظـــاهـرًا أدعـــوك ربــِّى
كــذلــك بـاطنــًا أنــت الجليــلُ
إلهى عـــافنـــى مـــن كـُــلِّ داءٍ
بجـاهِ مُحمـدٍ نعـْم الخليــلُ
إلهى غــافـر الــزلّات يـا مـــنْ
تعـالى ، مـــالـه أبـدا مثيــلُ

إلـهى فــاز مــن نــاداكَ ربــِّى
أتـــاه الخيرُ حقــًا والقبــولُ
إلـهى قلــْتَ ادعــونــى أَجِبْكــُم
فهــاك العبدُ يـدعـو يـا وكيــلُ
إلـهى كيــف حــالى يــوم حَشْرٍ
إذا مــا ضـاق بـالعــاصى مقيـلُ
إلـهى لا إلـــه ســواكَ ربــّى
تعـــالى ، لاتُمثلـــهُ العقـــولُ
إلـهى مسنــى ضرٌّ فــأضحـى
بــه جسمــى يُبلبلــُه النحــول
إلـهى نَجنــى مــن كــلّ كــرب
وبيسّر لى أمــورى يــًا كفيــلُ
إلـهى هـــذه الأوقــاتُ تمضــى
بــأعمار لنــا ، وبها تــزولُ
إلـهى والنـــى خيْرًا ، وأحســـنْ
ختـامـى عندما يـأتـى الـرسـولُ
إلـهى يـا سميــعُ أجـبْ دعــائى
بطــه مــن تسيرُ لــه الحمــُولُ
فصــلِّ عليــه ربــِّى كــُل وقــتٍ
صـــلاة لا تحولُ ولًا تـــزول
وآلٍ والصّحـــاب ذوى المعـــالى
وفى طــى الكـــلامِ هُمو الفحــُولُ

# سقانى محبوبى

*لإبراهيم الدسوقى*

« شهدتُ وشاهدْنا وطابت نفوسُنا
وقد لذَّ لى ذُلِّى إليه وخشيتى
أحنُّ على ذلٍّ وأهوى على هدى
وأسرى على علمٍ لأنوار طلْعةِ »

« هو إبراهيم بن أبى المجد بن قريش زين العابدين ، ينتهى نسبه إلى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه . ولد سنة ستمائة وثلاث هجرية ، وتفقه على مذهب الإمام الشافعى ثم اقتفى آثار السادة الصوفية وصار من أقطابهم ، ومازالت طريقه عامرة بالصالحين يقتفون آثاره فى مجاهدة النفس وصدق التودد إلى الله وذكره وحسن عبادته ، توفى سنة ستمائة وست وسبعين هجرية عن ثلاثة وأربعين عاما ومسجده بمدينة دسوق عامر بزواره حتى اليوم » .

يقول إبراهيم الدسوقى :

سقانىَ محبوبى بكأسِ المحبةِ
فتهْتُ عن العشاقِ سكْرًا بِخلْوتى
ولاح لنا نور الجلالةِ لواضا
لصُم الجبالِ الراسياتِ لدُكّتِ
وكنت أنا السّاقى لمن كان حاضرًا
أطوفُ عليهم كَرَّةً بعد كرةٍ
ونادمنى سرًّا بِسرٍّ وحكمةٍ
وأن رسول الله شيْخى وقدوتى
وعاهدنى عهدًا حفظتُ لعهدِهِ
وعشتُ وثيقًا صادقًا بمحبتى
وحكّمنى فى سائر الأرض كُلها
وفى الجنِّ والأشباحِ والمرديّةِ
وفى أرض صين الصين والشرق كُلِّها
لأقصى بلاد الله صحَّت ولايتى
أنا الحرفُ لا أُقرا لكلِّ مناظرِ
وكلُّ الورى من أمر ربِّى رعيَّتى
وكم عالمٍ قد جاءنَا وهو منكرٌ
فصار بفضل الله من أهلِ خرقتى

وماقلتُ هذا القول فخْرًا وإنما
أتى الإذن كي لا يجهلون طريقتى
غنيت عن الدنيا بفيضِ عطائه
وأىُّ عطاياهم يدانى عطيّتى ؟
وصرتُ على بُعد المسافاتِ واصلاً
لأدنى دُنوٍّ فى ارتفاعى لغايتىِ
فوجه الحبيب الحقِّ مشرقُ وجهتى
ونورُ الحبيب الحقِّ ساطع قبلتى
وفى القلب أشواقٌ يترجم فيضُها
عن الألقِ السامي إلى قُدْسِ حضرةِ
شهدت وشاهدنا ، وطابت نفوسنا
وقد لذَّ لى ذلِّ إليه وخشيتى
أحنُّ على ذلّ ، وأهوى على هدى
وأسرى على علم لأنوارِ طلعةِ
رضيتُ به حتى دخلت رياضه
فأنعم بها من روضة أىِّ روضة
وما لذة العشاقِ إلا يقينهُم
بشملٍ جميعٍ بعد طول تشتتِ
وأغسلُ قلبى من سواك ، ولم أجد
لنفسى إلا نورذاتك بغْيتى
تعاليتَ بالعطْفِ الكريم ، رعايةً
فَباركْتَ زلاتى وأمّنْتَ روعتى

# فطــرة النفــس

## *لأبى العباس المرسى*

« والنفــسُ بين نــزولٍ فى عـــوالمهــا
كـــآدمٍ ولـــــه حـــواءُ فى قـــَرنِ
والـــروحُ بين تــرقٍّ فى معـــارجهـــا
وهـــى الموافـقُ للتعـرِيـف والمنــنِ »

« هو الإمــام العارف بالله شهاب الــدين أبو العباس أحمد بــن عمر الـخزرجى الأنصـــارى المرسى البلنسى ، ولد فى مــرسية من مقــاطعة بلنسية بــالأندلـس سنة ستمائة وست عشرة هجــرية ، ونســب إليها فسمى المرســى ، وفد مع شيخــه أبى الحسن الشــاذلى إلى مصر سنة ستمائة واثنتين وأربعين هـجرية وأقاما بالاسكندرية وأخذ أبو العباس يلقــى الــدروس ويعلم مبــادئ السلــوك وتطبيــب النفوس فى جـامــع العطارين ، وذاعت شهــرته ـ بعد موت شيخه الشــاذلى ـ وتلقى العلم على يديه وصاحبه كثير من علماء عصره كــالبوصيرى وياقوت العرش والسكندرى وابن دقيق العيد والعز بن عبد السلام والحافظ المنذرى ـ وتوفى سنة ستمائة وخمس وثمانين هـجرية » .

يقول أبو العباس المرسى :

إن كنـت سائلنـا عن خـالصِ المنـنِ
وعـن تـآلـف ذاتِ النفـسِ بـالبـدنِ
وعـن تشبثهــا بـالحظِّ مــذ ألفـت
أدرانَها فغـدَتْ تشكـو مــن العَطـنِ
وعـن بــواعثهـا بـالطبـع مـائلـةً
تهوى بشهـوتها فى ظلمــة الشجـنِ
وعـن حقيقتهــا فى أصـل معـدِنها
لا ينثنـى وصفُهــا منهـا إلى وثــن
وعــن تنــزلها فى حكمهـــا ولها
علـمٌ يفـرقهـا فى القُبـح والحسَنِ
فاسمـع هُديـتَ علومًا عز سـالكُها
على البيـانِ ولا يغـررك ذو لَســنِ
قصدًا إلى الحقِّ لا تخفـى شواهـدُها
قـامت حقـائقهـا بـالأصل والفنـنِ
يـا سائلى عـن علـومٍ ليس يُدركهـا
ذو فكــرةٍ بفهــومٍ لا ولا فِطــنِ
لكــن بنــور علىٍّ جـامــعٍ خمدَت
لـه العقـولُ وكـلُّ الخلـقِ فى وَسَـنِ

خُذْهـا إليـك بحـق لسـتَ جـاهلـهُ
والأمــر مُطَلَــعٌ والحقُ قيــدنــى
على الحقيقـة خُذْ علـم الأمـور ولا
تحجبـك صـورتُها فى عَالمِ الـوطـن
ففطـرةُ النفــسِ سرٌّ لا يُحيـطُ بـه
عقــل تقيـد بـالأوهـامِ والــدرنِ
لكنهـا بــرزتْ بـالحكـم قَائمـــةً
حتـى تـألفَهـا السكـانُ بـالسَّكـنِ
وكــىْ يقـال عبيــدٌ قـائمــون بما
ألقى مـن الأمر قبـل الخَلْق والمحـن
والنفــس بين نـزولٍ فى عــوالمهــا
كــآدم ولـــه حـــواءُ فى قـــرَنِ
والـــروح بين تـرقٍّ فى معـــارجهــا
وهـى الموافــقُ للتعـريـفِ والمننِ
مـن الحجابِ دنـت أنـوارُها فَبـدتْ
نــورًا تنـزل بين الماء والـدِّمـنِ
مثـــالها فى العـُلا مـرآةُ معــدنِها
ألطـافُهــا خِفْيـة كــالسِّر فى العلـنِ
زيتـونــةٌ زيتُهـا نــورٌ لصـاحبهــا
قـامتْ حقـائقُهـا بـالأصلِ والقُننِ

ونـــار دعـــوتها مـــاءٌ لشـــاربِها
مـُدَّت هـدايُتهـــا فى الكـونِ والكُبـُنِ
والكـــلُّ أنـت بمعنـــىً لاخفـاء بـــه
والنـــور يحجبـهُ كـاَلماءِ فى اللَّبـــنِ
والعبـــدُ محتجـبٌ فى عـــزٍّ مـالكـــه
دقـت معـارفـُه فى الدهـر والـزمـنِ

# ظهرتَ لكل الكون

*لابن عطاء الله السكندرى*

« ظهرت لكلّ الكون ، فالكونُ مظهرٌ
وفيه له أيضا كما جاءت الصحفُ
فأىُّ فؤادٍ عن ودادكَ ينثني
وأية عينٍ بعد قُربك لن تغفو »

« هو تاج الدين أبو العباس أحمد بن عطاء الله من أهل العلم فى التفسير والحديث والنحو والفقه والأصول ، صحب أبا العباس المرسى وأخذ عنه ثم استوطن القاهرة وكان له كرسى فى الأزهر يجلس عليه ليشرح علوم القوم وآثار السلف ، توفى بالمدرسة المنصورية فى القاهرة سنة سبعمائة وتسع هجرية ، ومن أشهر آثاره مجموعة الحكم التى نظمها والتى تفيض بالرمزيات وتهيبها الشراح لأنها فى رأيهم تشتمل على الأسرار المصونة والجواهر المكنونة ، بالإضافة إلى آثاره الشعرية التى تدل على موهبة أصيلة وبيان محكم » .

يقول
و
و

يقول ابن عطاء الله السكندرى :

وكلىَ محتاجٌ ، وأنت لك الغنى
ومثلى من يُخْطى ، ومثلك من يعفُو
وأنت الذى أبدى الوداد تكرمًا
ومثْلُك من يرعى ، ومثلى من يجفو
وما طاب عيش لم تكن فيه واصلاً
ولم يصْفُ ، لا والله ، أنَّى له يصفو
عزمتُ على أن أترك الكون كُله
وأقفو سبيلَ الحبِّ ، والمُجْتبى يقفُو
شهود كمو يجلو الحجاب لأنه
إذا حقَّق التحقيق صار هو الكشفُ
وما أحسنَ الأحبابَ فى كُلِّ حالة
فـلله ما يُبدوا ولله ما يخفوا
وإن الأولى لم يشهدوك بمشهدٍ
قلوبُهم عن نيلِ سر الهوى غلفُ
وأنت الذى أظهرتَ ثم ظهرْت فى
جميع المبادىِ مثلما شهِدَ العَرف
ظهرْت لكلِّ الكون، فالكون مُظهرٌ
وفيه له أيضًا كما جاءتِ الصُّحفُ
فأىّ فؤادٍ عن فؤادك ينثنى
وأيةُ عيْنٍ بعد قربك لن تغفو

وأيــة نفــسٍ لم يُملهــا هــواكمــو

على حُبّكم طُرًّا ، نفــوسُ الورى وقفُ

ويقول ابـن عطاء الله السكندرى فى وصــف الطريــق وشرح أحوال سالكيه والنصح لمن يريد رشاد الهداية :

أيا صاحِ هذا الرّكـبُ قد سار مُسرعًا

ونحنُ قعــودٌ ، ما الــذى أنت صــانعُ

أترْضــى بأن تبقــى المُخلَّف بعــدهم

صريــع الأمــانــى ، والغــرام ينــازع

وهــذا لســان الكون ينطـق جهــرةً

بــأنَّ جميـــع الكــائنــاتِ قــواطــعُ

وأنْ لا يرى وجــه السبيلِ ســوى امرى

رمى بــالسوى لم تختــدعْهُ المطــامعُ

ومــن أبصر الأشيــــاء والحقُّ قبْلهـَا

فغيـّب مصنوعـًا بمــن هــو صــانــعُ

بـــوادهُ أنـــوارٍ لمن كـــان ذاهبــًا

وتحقيـــق أسرارٍ لمن هــــو راجـــعُ

فقــم وانظـر الأكوانَ والنــورُ عمّهــا

ففجـرُ التّدانــى نحْوكَ اليــومَ طالــعُ

وكـــنْ عبـْدَهُ أَلـْقِ القيـاد لحكمـــه

وإيــاك تــدبيرًا فما هــو نــافـــعُ

أتحكم تدبيرًا وغيرُك حاكمٌ
أأنت لأحكام الإله تُنازعُ ؟
فمحو إرادات وكُلُّ مشيئةٍ
هو الغَرضُ الأقصى فهل أنت سامعُ
كذلك سار الأولون فأدركوا
على إثرهم فَلْيَسر من هو تابعُ
على نفْسهِ فلْيَبْكِ من كان طَالبًا
وما لُمستْ ممن يُحبُّ لوامعُ
على نفْسهِ فليْبكِ من كان باكيًا
أيذهبُ وقتٌ وهو باللهو ضائعٌ

# سُكْر المحبّة

***لابن أرقم النميرى الأندلسى***

« فما بـــالهم سُكــر المحبـــةِ أنكـــروا
ولا شربـــوا مـــن خمرِ وجـــدانها صرفـــا
يـــريـــدون إدراكَ المعـــانـــى حقيقـــةً
وهـــل يجدُ التحْقيـــق مـــن لم يُجدْ وصفـــًا »

« هو أبـو محمـد عبد الله بن عـبد العظـيم بـن أرقـم النميـرى الأندلسى من أهل وادى آش ، يكنى أبا عـامر ، يقول عنه لسان الدين ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة فى أخبار غرناطة ( الجزء الثالث) :

« كان أحد شيـوخ بلدى وطلبته ، مشاركًا فى فنـون من فقه وأدب وعربيـة وهى أغلب الفنون عليـه ، وكان مطرح السّمت ، مخشـوشن الـزىّ، قليل المبـالاة بنفسه ، مختصرًا فى كـافـة شئونـه ، وكان بيتـه معمـورًا بالعلماء أولى الأصالـة والتعين ، وقـد تصدّر ببلـده للفُتيـا والتدريـس والاستماع ، وكانت وفـاته ببلـده سنة أربعين وسبعمائة هجرية » .

يقول ابن أرقم النميرى الأندلسى :

تعالوا تُعاطيها مُقدّسةً صِرفا
فنرشفُها فى بسْط روض الهدى رشْفا
أنار بها الأكوان نورٌ فأشرقت
ومن قَبلِ موجوداتها وُجدت لُطْفا
شربنا بأكوابِ الصفاء صفاءَها
فللهِ ما أحْلى هواها وما أصْفى
وغبْنا عن الإحساسِ من طيبِ سُكْرها
فلاحَ لنا فى الكون ما لم يكنْ يخْفى
ولماَّ تجلَّى الحسْنُ فى حُجْبِ قُدْسهِ
حُجبنا فلم نُبصر حِجابًا ولا سُجفا
ورُحنا بروض الأُنسِ نجنى ثماره
ونقطف بالإخلاص أزهارها قطْفا
وبحنا بِسرِّ الحب فى مجلسِ الهوى
ولم نخْشَ إذ بُحْنا بِسرِّ الهوى حتْفا
ونحن أناس ليس ينكرُ أمرُنا
عرفْنا وعرفنا المعَارفُ والعُرفا
فما بالهم سكرَ المحبةِ أنكروا
ولا شربوا من خمر وجدانها صرْفا

يــريـــدون إدراكَ المعـــانـــى حقيقـــة
وهــل يجد التحقيــق مــن لم يجدْ وصـفــا
ومـــا الحَقُّ إلا ظـــاهــــرٌ فى وجــودِه
وأسرارُه فى شرْح آيـــاتــــه تُلْفـــى
فلـو قصدوا المقصـود بالصـدق شاهـدوا
مصـــابيـــح أنـــوار تُنــزّهُ أن تُطْفـــا
ولـــو أخلصــوا فى ذاتــه وصلــوا بــه
إليـــه ، ونـــالــوا عنــده أجْــرَ مــن وفَّ
ولـو لمحــوا معنَى المحــاسـنِ صيغــةً
لما وصفـــوا قــرْطـــاً ، ولا ذكـروا شنْفــا
ألا أيها الســـاقـــى ظمئنـــا فَسِقِّنـــا
بـألطافهـا يُشفى مِن الجهـل ما يُشْفَـى
وعــاود ففــى الأكـــواب منهـــا بقيــةٌ
بها العيـشُ يسْتحلَى ، بها الأنــسُ يُستـوْفَى
ومـــا طيبهـــا إلا بلطــفِ مــُديــرهـــا
بحيــث مُنــادى الـرشــد نَبـّه مـن أغفَـى
أمـــولاىَ يـــا مـــولاىَ دعـــوة مبعـــدٍ
على الهلْكِ مـن تسـويـف رحلتــه أشفــى
بعثــت ودادى واشتيـــاقـــى وسيلـــةً
وإنـــّىَ فى بـــاب الـــرجـــاَ بـــاسـطٌ كفــًا
وإنّ ذنـــوبـــى كـــالجبـــالِ رجـــاحـــةً
وحبـــُّك يـــا مـــولاى ينسفهـــا نسفـــا

# الملجأ الأحمى

*لابن الجيّاب الأندلسى*

« محبتــه شرطُ القبــولِ ، فمــن خلــتْ
صحيفتــُه منهــا ، فقــد زاغَ واشتطــّا
بــه الحقُّ وضــّاحٌ ، بــه الإفــك زاهــقٌ
بــه الفوزُ مــرجــوٌّ ، به الــذَّنــبُ قد حُطــّا »

« هو أبـو الحسن على بن الجياب الأنصــارى الأندلسى ، مـن أهل غرنــاطة جاء فى تــرجمته فى كتاب الإحاطــة فى أخبار غرنــاطة ( الجزء الأول ) :

« شيخنا ورئيسنا العلامة البليغ ، كان على ما كان عليه من التفنن والإمامة فى البلاغة والأخذ بأطراف الطلب والاستيلاء على غاية الأدب ، صــاحب مجاهــدة وملازمــة عبــادة ، على طريقــة مُثلى فى الاستقامــة والنزاهــة وإيثار التقشف ، محب لأهـل الخير والصلاح .. وهـو شيخ طلبة الأندلس دراية وتحقيقًا ومشاركةً فى كثير العلوم ، توفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة هجرية » .

يقول ابن الجيّاب الأندلسى :

أهــزْلاً وقــد جـدَّت بـك اللِّمــَّةُ الشمطـا
وأمْنــاً ، وقــد ســادرتَها حيــّةً رقْطــا
أغـــرَّك طـــول العُمـــرِ فى غير طـــائلٍ
وسرك أن الموت فى سيرِه أَبْطـــــا
رويـــدًا فـــإن الموت أسرعُ وافـــدٍ
على عُمـــرِك الفـــانـى ركـــائبــهُ حطـّـا
فـــإذ ذاكَ لا تسطيـعُ إدراكَ مـــا مضـــى
بحـــالٍ ، ولا قبضـًــا تُطيـــقُ ولا بَسْطـــا
تـــأهـــَّب فقـد وافـــاَك سيبـــك مُنـــذرًا
وهـــا هـــو فى فـــوْديـكَ أحـــرفـَهُ خَطــّا
فـــرافقـــتَ منـــه كـــاتـــبَ السر واشيـــًا
لـــه العَلـــَم الأعلى ، يخطُّ بــــه خَطــّا
مُعمـــىّ كتـــاب فكـــَّه احـــذرْ ، فهـــذه
سفينـــةُ هـــذا العُمـــرِ قـــاربت الشطـــّا
وقـد طـــالما خـــاضـت بـك اللُّجـــَج التـى
خبطـــْتَ بهَا فى كـُـلِّ مهلكـــةٍ خبْطـــا
ومـــازلـــت فى أمـــواجهـــا مُتقلّبـــًا
فـــآونـــةً رفعـــًا ، وآونـــةً حطـــا
فقـــد أوشكـــتْ تلقيـكَ فى قفـــْرِ حفـــرةٍ
يُشـــدُّ عليـــكَ الجانبـــانِ بها ضغْطـــا

ولسْــتَ على علــم بما أنـــت بعــْدهـــا
مــُلاقٍ ، أرضـوانــًا مــن الله أم سُخطـــا
وأعجـبُ شـــىء منّـك دعـــواكَ فى النهـى
وهــذا الـهوى المُردى على العقل قــد غطـىَّ
قسطـــتَ عـــن الحقِّ المُبينِ جهـــالـــةً
وقــد غالطتـْك النفسُ ، فـادَّعت القسْطـا
وطـــاوعْتَ شيطـــانـًا تجيبُ إذا دعـــا
وتقبــلُ إن أغــْوى وتـأخــذُ إن أعطـــى
تنــاءى عــن الأخرى ، وقــد حـان حيْنهـا
تــدانى مــن الدنيــا ، وقــد أزمعتْ شَحْطــا
وتمنحهـــا حُبـــًا ، وفــرْطَ صبـــابـــةٍ
ومـــا منَحـــتْ إلا القتــادَة والخمطـــا
فهـــا أنــت تهوى وصلَهـــا وهـــى فـــاركٌ
وتــأمــلُ قــُربـًا مـــن حماهـــا وقــد شطـّا
صراطُ هـــدىً نكَّبــتَ عنـــه عمايـــةً
ودارُ ردًى خـــالفــْتَ فى حُبِّهـــا الشرْطـــا
فما لـــك إلا السيـــّدُ الشـــافــعُ الــذى
لــه فضــلُ جاه كُلما يـرتضـــى نُعْطــَى
دليــلٌ إلى الـــرحمن ، فـــانهجْ سبيلـــَهُ
فمــن حـــاد عــن نهج السَّبِيـل فقــد أخطـــا

محبتــــهُ شرطُ القبــولِ فمـــن خَلَــتْ
صحيفتـــهُ منهـــا فقــد زاغَ واشتطـــاَّ
ومـــا قُبلــتْ منـــه لـــدى الله قــُربـــةٌ
ولا زكــت الأعمالُ بـــل حبطـــتْ حَبطـــا
بـــه الحقُّ وضـــاحٌ ، بــه الإفــك زاهــقٌ
بــه الفــوز مـرجـوٌ ، به الـذنـب قـد حُطّـا
هــو الملجــأُ الأحْمَى ، هـــو الموئلُ الـــذى
بـــه فى غـدٍ يستشفـــعُ المذنـبُ الخطـــاَّ[1]
لقـــد مـــازجـت روحـــى محبّته التـــى
بقلبـى خُطــَّت قبـل أن أعــرفَ الخطّـــا

(١) أى الخطاء ( الكثير ارتكاب الخطايا ) .

# سلمى

*لليافعى*

« فيا ليلةً فيها السعادات والمنى
لقد صغُرت فى جنْبها ليلةُ القَدْرِ
فلما شربنا الراحَ فى ساحة الرِّضا
أتانا أغرُّ السعد بالخِلعِ الخضرِ »

« هو عفيف الدين عبد الله اليافعى ، ولد فى اليمن ودرس الفقه وعلوم القرآن ومال إلى التصوف ، فارتحل إلى القدس ودمشق والحجاز ومصر وأخذ العلم عن أعلام علماء عصره حتى صار مشهودًا له بالفضل والمنزلة ، له مؤلفات مشهورة فى التصوف ، أهمُّها: « روض الرياحين فى مناقب الصالحين » الذى يضم سير خمسمائة من أولياء الصوفية ، « ونشر المحاسن الغالية فى فضل أصحاب المقامات العالية » وفيه يشرح اليافعى الأحوال والمقامات بأسلوب أدبى جميل ، كما دوَّن فيه أكثر ما نظمه من قصائد فى الحب الإلهى والترانيم الصوفية .

توفى سنة سبعمائة وثمانى وستين هجرية .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

يقول اليافعى :

سلا عن حمى سلمى،وعن أهله الغرِّ
عسى خبرٌ يلقاكما ، طيّب الذكرِ
يجيءُ به من نحوها عذبُ منطق
يفوح به من ريحها طيّبُ النشرِ
يُخبّر عن سلمى وعن ذلك الحمى
وقول لسان الحال فى نظمه الدرّى
رعى الله عهدًا مرَّ مع جيرة الحمى
هنا فى رياضٍ زاهراتٍ بهِ زُهْرِ
سقتنا بها سلمى من الراح عندما
بدتْ فأضاء الكون من جانب الخِدرِ
أماطت حجابًا عن بهاء جمالها
فهِمنا سكارى فى المهامة والقفرِ
نرومُ التسلِّى عن هواها ببُعْدنا
وكلُّ جمالٍ فى الوجود بها يغرى
خليلَّ ما سلمى ونجدٌ وما الحمى
وما راحُها ، ما كأسُها ، ما الهوى العُذرى
شربنا حميًّا الكأس فى قُدس حضرة
وأكرم بها فى حضرة القُدْسِ من خمْرِ
لنا عُصرت من كرْم نورِ جمالِ من
سقانا ، وقد غبنا وحرنا فما ندرى

سكـــرنـــا بها مــن شمهـــا قبـــلَ شرْبها
نشـــاوى بـريـّــاهـــا إلى آخـــرِ الـدهـــرِ
أو السّكـر ذا مـن رؤية الكـأسِ ، أو أنـتْ
بــه رؤيــة الســاقــى إلينـا ذوى السُّكـرِ
تجلَّى بـــأوصـــافِ الجمالِ فشـــاهــدت
عيـونٌ قلـــوبٍ مــا بـــه حــار ذو الفِكــْرِ
فيــاليلـــةً فيهـــا السعــاداتُ والمَنـــى
لقـــد صغـــُرت فى جنبهـــا ليلـــةُ القـدْرِ
فلما شربنـا الـــراحَ فى ساحـةِ الـــرِّضـا
أتـــانـا أغـــرُّ السَّعــْدِ بـالخلـــعِ الخُضْرِ
رســـول عنـــايـاتٍ بـــرســـْم ولايـــةٍ
وتصريفنـــا فى الملـْكِ فى الْبَرِّ والبحـــْرِ
وضـــاءت لنـــا أنـــوارُ غيـْب وشـــوهــدت
أمـــورٌ وأعلمنـــــا بها أنها تجرى
وحلّـــت بـوادى طــور قلـب معـــارف
زهــت فيــه كـــم حسنــاء فى داخـل الخدرِ
وكـــمْ حكـــم تُجلى مـــلاح ، كـــأنها
عـــرائسُ أبكـــارٌ على منطـــق الـــدرِّ
وكـــم يـــدفـــع الله البـــلايـــا بســـادةٍ
مــن الخلـــْق فى كشـــفِ الشـــدائد والضُرِّ
فمـــنْ لم بـــذا يـؤمـــنْ ، فقـولـــوا لـــه إذا
تَجرًا على الغـــُرِّ المشـــايـــخ بـــالنُكـــْرِ

تجلّى فضـــُـولا فى فضـــائل ســـادة
لهم فى سما مجدِ المفـــاخـــر كـــم قَصْرِ
مقـــامـــاتُ أحبـــاب تـــرى الشـــهب دونَها
بنـــوْهًـــا بيـــاقـــوت المواهـــبِ والـــدرِّ
تضـــىء الـــدّيـــاجـــى مـــن بهاء جمالِها
بما يهتـــدى مـَـنْ للعـــلا نحـــوهـَـا يسرى
ومـــا تلـــك مـــن أشبـــاهِ عُشّـــك ، فـــادرُجى
إلى جـــوفِ عـــشٍّ فى الغيـــابـــاتِ أو جُحْـــرِ

# المنبهجـــة

*لمصطفى البكرى*

« مـــولاى أتَـيْـتُـــك منكســرا
وبغيرك شــــوقـــــى لم يهجِ
هـــل غيرُ جنــابــكَ يقصـــد ، لا
وجمالـــك ذى الحُســـنِ البَهـــجِ »

« ولد فى دمشـق سنة ألـف وتسع وتسعين هـجـرية ، حيـث تعلم العلوم الـدينية ثم انتسـب إلى الطريقة الخلوتيـة وأخذ عن مشـايخها وأقطابها ، ونذر نفسه للزهد والتقوى والتـزود للآخرة ، ثم هاجر إلى مصر ونشر فيها الطريقة الخلوتية ـ التى ما يزال لها أشياع ومريدون حتى اليوم ـ حيث توفى سنـة ألف ومائة واثنتين وستين هجرية ، بعد أن ترك آثارًا شعـرية وأورادا وابتهالات صوفية كثيرة مـن بينها هذه القصيدة التـى سميت بالمنبهجة ويقـرؤها جميع مـريديه يوميا قبل صلاة الفجر » .

يقول مصطفى البكرى :

قــــم نحـــو حماهُ وابتهـــج
وعلى ذاك المَحْيـــــا فعـــُجِ
ودع الأكـــوان وقـــمْ غسقـــاً
واصـــدق فى الشـــوقِ وفى اللَّهـــج
والـــزم بـــاب الأستـــاذ تفـــُزْ
وتكـــون بـــذلـــك خـــلَّ نجـــى
واخـــرج عـــن كـــلِّ هـــوى أبـــدًا
ودع التلفيـــــق مـــــع الهرَجِ
إيـــاك أُخـــىَّ تـــرافـــقُ مـــن
لم ينْهـــكَ عـــنْ طُـــرق العـــوج
اقنـــع وازهـــدْ واتـــركـــْهُ كـــذا
كَ ببـــابِ ســـواهُ لا تلـــج
وادخـــل للحـــان خليلى ومـــِلْ
نحـــو الخمَّار أبـــى السُّرُجِ
واشرب واطـــرب لا تخْشَ ســُوًى
إيـــاك تملْ عـــن ذى النَّهـــَجِ
كـــم أنـــت كـــذا ، لم تصْـــحُ ، أفـــقْ
وإلى الأبـــوابِ فقـــمْ ولـــُجِ

مـــــولاى أتيتـــــك منكسرًا
وبغيرك شـــوقـــى لم يهج
وأتيـــتُ إليـــك خليـــًّا مـــن
صـومـى وصـلاتـى مـعْ حججـى
وكـــــذا علمـــى وكـــذا عملى
وكـــذاك دليلى مـــعْ حُججـــى
لا أملـــك شيئـــاً غير الـــدَّمـــْ
ـــعِ مخافـةَ أن يغشـى وهجـى
هـــل غيرُ جنـــابـِك يُقصـــدُ ، لا
وجمالـــك ذى الحســـنِ البهـــجِ
مـــن يقصـــد غيرك فهـــو إذا
بظـــلامِ البعـــد تـــراهُ فجـــِى
مــن أنـــت تُضـــلُّ فـذاك مـــن الـــ
ـــهلاّكِ ومـــن تهدى فَنجـــى
ودمـــوعُ العين تُســـابقنـــى
مـــن خـــوفـك تجرى كـــاللّجـــِ
يـــا عـــاذلَ قلبـــى ويـــْكَ فـــدَعْ
عـــذْلى واقْصِر عـــن ذا الحرج
كـــم تعـــذلنـــى لم تعـــذرنـــى
دعنـــى فى البســـطِ وفى الفـــرَجِ

أذنـــــى لحبيبــــى صـــاغيـــةٌ

صُمـــَّت عند الـــواشـــى السَّمـــجِ

يـــا صـــاحـــبَ حـــانِ الخَمـــْرِ أدرْ

صرفـــًا واتـــــرك للممتــــزجِ

وأدرْ كـــــأس الأسرارِ ودعـــــــــ

نِ أصيرُ بـــــه مــــن ذى الهمــــج

مـــــولاى بسر الجمــــع كـــــذا

ك وجمعِ الجمـــعِ وكـُـلِّ شجـــيِ

بــــالــــذات بسرِّ السرِّ ، بمـــــن

إفضـــالـــك ربِّـــى منـــك رُجـــى

بحقيقتـــــك العظْمـــــى ربِّـــــى

وبنـــــورِ النــــور المنْبَلـــــجِ

بعماءٍ كنــــــــت بـــــــــه أزلاً

بمحمــــد مــــن جـــا بـــالبَلـــجِ

وبِسَر القـــــرُب كــــــذاك الحـــ

ـــــبِّ ، وأهـــل الجذْبِ المنُعـــرجِ

وبما أوجـــــدْتَ مــــن الأكـــــوا

نِ بما فيهــــنَّ مـــــن الأرجِ

وبـــــأهــــل الحى وبهجتهـــــم

وببحـــْرِ القـــــدرةِ والمَرج

وبطيبِ الوصلِ ولذته
ببساط الأنسِ المُنْتَسَجِ
وبقلب فى بلواكَ غدا
وحياتكَ ليسَ بمنزعجِ
بتجلّى الليل وعالمه
وظلام الكون كما السَّبَجِ
بمنازل أفلاكٍ وكذا
بمطالعها ثم البُرُجِ
بالآل ، بصحبٍ ، من بهمو
كلُّ الخيرات إلينا تجي
يسِّر وأجْر كَسْرى ، برضًا
ليكون بوصلك مبتهجى
واخلعْ خِلعَ الرّضوان على
صبٍّ فى حُبِّك حِبُّ هجِ
وامنح قلبى نفحاتك يا
مولاىَ وعجِّلْ بالفرَج
واحسرةَ قلبى إن لم تَمْحُ
خطايا الذَنبِ من الدَّرجِ
واغفرْ ياربِّ لناظمها
وله رقِّى أعلى الدَّرجِ

واسمــــعْ للســـامِـع مــا نُشــدت

قـــم نحــــو حماهُ وابتهــــجِ

أو مــــــا جـــاء سَحــــرًا يحدو

الشــــدّةُ أودتْ بـــــالمهــــَجِ

وصـــــــــــلاةُ الله على الهادى

وســـــلام يُهدى فى الحِجــــجِ

لمحمـــــــدنــــا ولأحمدنــــا

مــــا فـــاح أقـــاحُ فى المُرُجِ

مــــــا مــــال مُحب يهواهُ

أو ســـار الـــركـــبُ على السُّرُجِ

أو مــــــا داعٍ يــــدعـــو المولى

يــــرجــو للنصر مــع الفـــرجِ

# مــــالــى ســــواك

*لأحمد الحلوانى*

« أستغفـــرُ الله ممـــا قـــد قلتـــهُ وهـــو زورُ
ومـــن تنـــاسٍ بِنـــاسٍ ، عمـــن هـــو المذكـــورُ »

« هو الشيخ العلامـة أبو عبد الرحيم أحمد بن إسماعيـل الحلوانى الخليجى الشافعى ، ولد سنة ألـف ومائتين وتسع وأربعين هجرية فى بلدة رأس الخليج مـن أعمال محافظة الغربية، وحفظ القـرآن ثم أتقن علوم الدين واللغة ، ثم ارتحل إلى طنطا لتحصيل المزيد من العلم حتى انتهى به الأمـر إلى الأزهر الشريف حيث تتلمذ على صفـوة الأعلام من علمائه كالقَصبى والباجـورى والخضرى والشبراوى . توفى سنة ألف وثلاثمائة وثمانـى هجريـة بعد أن تـرك وراءه عدة مصنفـات دينية والكثير من الأشعار والأذكار الصوفية »[١].

(١) السمو الروحى فى الأدب الصوفى تأليف أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلوانى.

يقول أحمد الحلوانى :

أستغفــر الله ربــّى ... فــالله ربٌّ غفــورُ
ممــا جنــاهُ جنَـانـى ... أو اللســانُ العَثـُور
أو الجوارحُ منـــِّى ... فــإنها قــد تثــورُ
أو ظاهرٌ ليـس يَخفى ... أو بــاطــنٌ مستــورُ
أستغفــرُ الله ممــا ... قــد قلْتــُه وهــو زورُ
ومــن تَنــاسٍ بنــاسٍ ... عمَّــن هـــو المذكــورُ
ومــن خـلافِ أمــور ... أنـــا بها مــأمـــورُ
أستغفــرُ الله ممــاً ... جَـرى بـــه المقـدورُ
مــن كلِّ أمــر معيـب ... قــد كنتُ فيـه أمـورُ
لم يُرض ربـِّى وقلبى ... بكسْبــــه مسرورُ
إن سرتُ يـومـًا إليـه ... أطير حين أسيرُ
وعنــــد أولِ جــزءٍ ... منـــهُ يجىء الأخيرُ
وإن تــوخيــتُ خيْرًا ... صرفــًا فكـم أستخيرُ
وإن تهممـتُ يـومـًا ... إليـــه جـاءَ الفُتـــورُ
وللتقــــدمِ أنـــوى ... فيعـــرُض التـأخيرُ
هبْنى تقـدمتُ ، مـاذا ... يُجدى وقلبــى نفـورُ
وهبــْه غيْرَ نفـــورِ ... هل فيــه ثمَّ حضــورُ
عـدمتــهُ مـــن فـؤادٍ ... عنـد الصـــلاةِ يطيرُ
أنــوى فيذهــبُ لبـِّى ... وفى الســـلام يحورُ
أظــلُّ أحســِبُ فيهــا ... وما تحتويـه الدُّهورُ

كأنّني بحسابي    مُؤَكّلٌ أو أجيرُ
فلو تراني فيها    لقلْتَ : ذا مبهورُ
ففي العبادة طرْفي    ولو بصيرًا ضريرُ
وفي الذنوبِ فؤادي    على عَماهُ بصيرُ
يا ويْلنا من ذنوب    فُجورُها مفجورُ
ومن خُطايَ اللواتي    إلى الخطى تستطيرُ
وآه من كلِّ إثمٍ    عليه يُطوى الضميرُ
ومن مقاصد سوءٍ    جرى به التعبيرُ
شيءٌ ومنْ لستُ أدري؟    فذاك شيءٌ كثيرُ
قبائحٌ كنتُ فيها    أَسْرى وطوْرًا أسيرُ
ماتت وعاشت، فقلبي    من أجلها مفطورُ
سُررتُ منها زمانًا    وغمُّها مذخورُ
نسيتها ودعاها    كتابيَ المسطورُ
ماذا أقول لربِّي    إذا بدا التحريرُ
ياربِّ أنت رحيمٌ    وبالسَّماحِ جديرُ
ياربِّ أنت عفوٌّ    وأنت ربٌّ قديرُ
ياربِّ إني حقيرٌ    جدًّا وأنت الكبيرُ
وشأنُ من جَلَّ يغضي    إذا أساءَ الحقيرُ
وأين تُربٌ خسيسٌ    من ربِّه يا مُجيرُ
وما أريدُ احتجاجًا    عليكَ بل أستجيرُ
أجِرْ عبيدَكَ يا منْ    سواه ليس يُجيرُ

مــالى ســواكَ أَغثنـــى	وهــل ســواكَ نصيرُ
ولى إليــك شفيـــعٌ	بـــــدرُ السماءِالمنيرُ
غــوْثُ الأنامِ المرجَّـى	إذا السماء تمورُ
بــه توسَّلــتُ فــاجبر	كَسْرى ، فإنى كسيرُ
واسكُب عليه التحايا	ما فــاض منه النــورُ

# تعشقت نور الله

***للشيخ على عقل***

وهــل غير ذات الله للنفــس مطلــب
حرامٌ سوى الرحمن يدخلُ فى نفسى
وما اتَّخذت روحــى سوى الله غـايةً
فتــم الهدى للروح والقلــب والحسِّ

« هــو الشيــخ على عقــل أحـد علماء العصر فى التصــوف والعلــوم الشرعية ، ولــد سنة ألــف وثمانمائة وأربع وتسعين ميــلادية ، وكـف بصره بعد مولده ، فوهبه والــده للقرآن والدين منذ صغره ، ودرس فى الأزهر الشريف ، ثم تقلبت به مجالس الذكر والإنشاد حتى صار علمًا يتعشقه المريدون ، توفى سنــة ألف وتسعمائة وثمانى وأربعين بعد أن ترك ديوانا شعريا يضم ترانيمه الصوفية ومدائحه النبوية هو ديوان « الإلهام » [١] .

( ١ ) السموّ الروحى فى الأدب الصوفى تاليف أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلوانى .

يقول الشيخ على عقل :

قتلتُ هوى نفسي ، فعشتُ بلا نفْسِ
وجافيتُ أنسى ، فانحدرتُ إلى الأنْسِ
ولم أُبدِ أمرى للعبادِ ، فطالما
كتمتُ الذى ألقى عن الجنِّ والإنْسِ
وأدركتُ بالوجدانِ سرَّ أحبَّتى
وعانيتُ آياتِ اليقين بلا لبْسِ
وعشتُ زمانى لست أحفل بالورى
وكيف ، وقلبى هام فى مشهدِ القُدْسِ
وعلَّمتُ غيرى ما أفادَ من الهُدى
فلم يبقْ ذو فهم لدىَّ على طمْسِ
إذا وُسّد الناسُ القبورَ ، فإننى
جعلتُ التقى والذكر بين الورى رمْسى
ولم أخْشَ من بأس ولم أخشَ طاغيًا
ومن يخشَ ذات الله لم يرَ من بأسِ
وهل غيرُ ذاتِ الله للنفسِ مطلبٌ
حرامٌ سوى الرحمنِ يدخلُ فى نفسى
وتوجّتُ بالقرآنِ نفسى عقيدةً
أصونُ به نفسى عن الزَّيْغ والدسِّ
وما اتخذت روحى سوى الله غايةً
فَتم الهدى للروح والقلبِ والحسِّ

وإن شرب النــاس الطــِّلا وتصببــوا

فسُنــَّةُ خلــق الله فى شُربها كــأســـى

وإن رفــع المثــرون عُجبــًا رءُوسهــم

رفعــتُ بـذكـر الله فــوق الـورى رأسـى

وإن جعلـوا الشمــس اهتـداءً ليـومهـم

جعلــتُ رضــا ربــِّى وآيتــه شمســى

وإن غــرســوا زرْعــًا لنْيــلِ حصــادهِ

فتقْـوى إلــه العرش بين الـورى غَـرسـى

تعشَّقــتُ نــور الله وهــو بصيرتــى

وقـد وضـح البرهـانُ مـن آيـة الكـرسـى

ومـذ شـاهـدت روحى جـلالـكَ وارتقتْ

تجرَّدتُ عــن معْنــاى فى عــالمِ الحسِّ

أحبــّك يــا ربــى محبــّةَ مــُوقــنٍ

ومــن قــوةِ الإيمانِ أُصبــحُ أو أُمســى

فـؤادىَ قـد أبعـدتُ عــن مشهـد الـورى

فطُهــّر فى نجـواكَ مـن ظلمـةِ الــرِّجْسِ

أطــوف على الأبــواب قلبــىَ مــُوجــَعٌ

ولـيـس سـوى رحماكَ للقلـبِ مـن نِطـْسِ

وأعــدمنــى فى الحبِّ علمــى بقــدْرِه

فليـس غـرامـى فيــه يـدرك عـن قيـْسِ

ولم أعشــق الــدنيــا فتلــك مجازة

تهىءُ لــلأخــرى وفى فـوتها عــُرســى

لقاؤك يا رحمنُ عيدى وعُدتى
ونُورك غيثى وهو لى فى الورى أُنسى
وبحرُك منه قد لقيتُ جواهرى
بشاطئه سُفنى على لُجِّهِ غَطسى
وطيبُ الورى ورْسٌ ومسك وعنبرٌ
وطيبيَ من مَحْياكَ أسمى من الورسِ
ولستُ من الدنْيا ، أميلُ إلى العُلا
فإنَّ علا الدنيا لأصحابه يُنسى
أُمتع أعضائى بذكرِكَ دائمًا
وهل غيرُ ذكْر الله يسكنُ فى نفسى
وكُلُّ رجائى أن أحبك صادقًا
إذ الصدقُ فى الوجدان مرتبة القُدْسِ
وما فضله وقْفٌ على أيِّ عالم
وحقك ما حُدَّ العطاءُ على جنس
إذا رضى الرحمن عن قلب عَبْدهِ
جرت مركَبُ الأقدار معه على اليبْس
تخلَّ ولا تحفلْ بجنٍّ ولا إنْسِ
وعشْ فى هوى الرحمنِ تسعدُ بالأنْسِ
وأقبل على مولاك بالقلب مخْلصًا
وأسلمْ وسلّم واتَّجه طالب القُدْسِ
وخُذ لك بالإيمان أصدقَ وجهة
وطهر بها نفسًا عن الغى والرجس

تجرد تجدْ مـــولاكَ أكبرَ نـــاصر
وفـوّض لــه مـا كـان فى الغـدّ والأمْسِ
حيـــاةُ الـــورى حُلــوٌ وُمـــرٌّ وإنما
حـلا المرءُ بـالتـوحيـد مـن رقـة الحسِّ
ومـــن لا يـــرى إلا الإلـــه مـــراده
حرامٌ عليـه الخوضُ فى العرشِ والكـرسى
ومـــن يتعشـــق نـــوُره وجـــلاَلـــهُ
فليس لـه التشبيـبُ بـالبدْرِ والشمسِ
وإنـــك لـــو عظَّمْـتَ دينـــك عـــالمًا
وعـاملـت بـالحسْنـى وأدَّبـتَ للنَّفسِ
وكنـــت على الأحـــداثِ بـــالله راضيـــًا
سـواءٌ عليـك الموتُ أو سـاعـةُ العُرْسِ
سعـدْتَ مــن الـدنيـا بـربـِّك محُسنـًا
ونلـت مــن الأخـرى عطـاء بـلا بخْسِ
يقـولـون لى مـن أنــت ؟ قلـتُ : مـُوحّدٌ
إلى ربــه يسعـــى ولم يــرَ مـــن بـــأْسِ
إذا قيـــل لى اطلبْ قلـــت ربـِّىَ مطلبـــى
وإن قيـل لى اشربْ قلـتُ أنـواره كـأســى
وكـــلُّ عهـــودٍ قـــد تنكَّـــس أصلهـــا
ولكـــنَّ عهـــد الله بـــاق بـــلا طَمْسِ
سلـونــى عــن العشـاق قـد ذقـتُ حُبَّهـم
وإنـــى لهم رأسٌ إذا كـــان مـــن رأْسِ

وما هم سوى أعضاء جسْمى وبزتى
أصافحهم ما شئتُ لكن بلا لمسِ
وما حيلتى إلا انكسارىَ فى الحمى
وإن انكسار القلب يكشف عن قدسى
وحلوُ الهوى عندى لقاء أحبَّتى
ومُر الهوى عندى وفى هجرهم تعْسى
وأعرفُ رحمانى وأُدركُ عفوهُ
وأنهض معتزا وما أنا بالمنْسى
وإنَّ حبال الوجدِ تربط مهجتى
وقلبى بحبِّ الله يعبق كالورس
وإن كنت فى سعدٍ فذلك فضلهُ
وإن لم أكنْ من سادة العُرْبِ والفُرْسِ
فقلْ للذى يُزجى الشراع دعِ الكرى
تجد سُفن الإحسانِ تجرى على اليبسِ
وسرْ موقنًا أن الإجابة للهوى
إذا ما دعا الداعى ولا تكُ فى حدْسِ
فكلُّ الذى تراه والكون خلقهُ
وما نفع التفريقُ بالنوْع والجِنسِ
حسبتُ الهوى سهلاً فخُضتُ عبُابَه
فطورًا به أطفو ، وطورًا به غَطْسى
إلى أن أتتْنى منْ لدُنهُ عنايةٌ
وصلتُ بها برَّ السلامةِ والأنسِ

# موسيقى من الله

*للشاعر محمود حسن إسماعيل*

« الـدَّرْبُ ضـوّاً للسُّراة حقيقـةً ، وحصـادَ نـُورْ
وهدى الدُجى ، وتمزَّقت حجُبُ الرياءِ ، على الحضُورْ »

« محمود حسن إسماعيل أحد الأصوات الشعرية الكبرى فى عصرنا الحديث ، ولد فى قرية النخيلة بمحافظة أسيوط فى الثانى من يوليو سنة ألف وتسعمائة وتسع وكانت وفاته ـ فى الكويت ـ فى الرابع والعشرين من أبريل سنة ألف وتسعمائة وسبع وسبعين ، عن رحلة شعرية طويلة وحافلة ، أصدر خلالها عددًا كبيرًا من الدواوين الشعرية تأكدت بها منزلته كشاعرٍ أصيل له لغته الشعرية المتفردة وأسلوبه فى التصوير والتعبير ، وتجاربه الوجدانية والكونية المميزة ، من بينها أغانى الكوخ ـ هكذا أغنى ـ أين المفر ـ نار وأصفاد ـ قاب قوسين ـ لابد ـ صلاة ورفض ـ نهر الحقيقة ـ هدير البرزخ ـ صوت من الله » وهذه القصيدة من ديوانه موسيقى من السر الذى صدر فى الذكرى الأولى لرحيله .

يقول الشاعر محمود حسن إسماعيل :

وهناك عند الفجْرِ فى إشراقةٍ كلظى الهجيرْ
وعلى خُطى قمرّيةَ الإيماضِ ،
يسْفحُ نُورُها كذب الصخور
روضٌ رحيبٌ ، أجهشت فيه الزهور
وتكلمت بعطوره لغةُ الطيور
وتأوّهت ريحٌ مجُنحةُ المسيرِ ، على مخاصرِه تدور
وترنَّمت ورقاء صاليةُ الشّعور
معشوقتى وعشيقةُ النغمِ المُصفدِ فى الوُكُورْ
وذبيحتى ، وأنا الذبيحُ ، وجازرُ الرؤيا أسيرْ
مُتلفّعٌ تحت العروقِ ، بمهدِه الثّملِ الوثيرْ
فى كفّه نهرُ الحياةِ ، لهيبهُ قلقٌ مرير
وعلى شواطئه هتافٌ لجَّ فى ندم غرير
وضراعة بلهاء تصرخُ وهى هالَعةُ النفِيرْ
وخطيئة تلدُ الحياةَ ، ومهدُها يلدُ الدثُور
وصدًى يغرّدُ نائحًا ، وبدمعه يلْغو السُّرور
وغمامةٌ عرجاء دوَّخها المسيرْ
آناً تسيرُ وآنةً تبكى المصيرْ
والأفق مصلوب كسِيرْ
شحَنَتْهُ أوهامُ العصورْ
ومسابحُ النساكِ وهى على مزالقها تدور
الكفُّ مؤمنةٌ، وظلُّ الكفِّ مشنَقةُ الضمِيرْ

وتمائمُ المتبتلين كأنها حرجُ الغواية فى الصدور
مسكينة الأصداء تَلْعقُ فى المداهنِ والبخورِ
وتَئِنّ فى حباتها الدعواتُ ،
جائعة الهدى لزجاج كوبٍ أو حصيرِ
متلمّظاتٍ للورودِ ،
على هوادجَ أخجلتْ خشبَ النُّذورْ
يتلقَّفُ الأزوادَ ، من عبقٍ تنَاسمَ بالشرورْ
والنور ، من حَلَكٍ تناغمَ فى الجذور
والطُهْر ، من شطحاتِ أوهام وزور
وتعانقُ القُدْسَ المنيعَ ، كأنما سكن السّتور
بفهيق راغية محبّرة على زبد الثغور
ونقيق غاوية مبعثرة على خَبلٍ حسير
متُخالج اللمحات .. أعمى دُسَّ فى ألَق ضرير
طحنتهُ سُنبلهُ السيادةِ بالقشورْ
والرزق ، والعوز المخدر بالسكينة والحبورْ
ولواه جلاّبُ المطايا للغرور
ومضفر الأصلاب أعتابا مطهمة الظهور
أقواسُها تئدُ السهامَ ، وتُنشبُ العشْبَ الحقير
وتحيلُ هشَّ الوارفين ، مشاتلاً لرُبى القصور
وعلى خضوع الهائمين بكفِّها تعلى الجسورْ
وتدورُ تطحنُ فى غيابتها ، فتطحنُ أو تدور !
سبحان وهّاب الظلام لمن يريدُ بصيص نور

سحبوا من الأكفانِ قُدرتَه ، ولجُّوا فى الثبور
وتأوَّدوا خببًا ، وتهتهةً ، وليّا للصدور
فى حومةٍ لا للسماء ، ولا التراب
لدفِّها نَسبٌ يُشير
زعموا لقاء الله وحدهمو ، وجلَّ
فنوُرُه غمر الدهور
فى الحب ، فى الأمل المحلّق ، فى الأجنّة ، فى البذور
فى الريح ، فى النسيم المرنح ، فى العشايا والبكور
فى الطيف ، تلمحهُ ظلالُ ظلالِه فوق الغدير
فى السَّفح ، فى ضجر المغاور ، فى البرازخِ ، فى البحور
فى كُلِّ راقِىء دمعةٍ من جفن مظلوم فقير
فى كلِّ كاسرِ حلْقةٍ ، من قيد مهجورٍ أسيرْ
فى كُلِّ رافضِ لُقمةٍ ، للّيلِ ، جالبها أسيرْ
فى كُلِّ واهب روحهِ غوثَ التراب المستجيرْ
فى كُلِّ ذاتٍ حركتْ عدمَ الفراغَ إلى الصَّريرْ
فى خُطوةِ القَدمِ الذى هتك البراقعَ عن دجى
القمر المنيرْ
وحدَا السَّدَيم ، وشق بين يديه أسرار الأثيرْ
ومشى على الأجيالِ ، يسحقُ جهلَ عالمها الضَّرير
ويزيحُ ستر الغفلِ عن إعجاز خالقهِ القدير
الدَّرْبُ ضوءًا للسُّراة
حقيقةٌ ، وحصادَ نُورْ

وهوى الدُّجى ،
وتمزَّقت حجبُ الرياء على الحضورْ
فالله ُ يصحبُ كُلَّ من صحِبَ النهارَ ...
ومال عن غبشِ الستورْ

# على بـــاب الـرجـــاء

***شعر : طاهر أبو فاشا***

« فى طليعة الأصوات الشعرية المعاصرة ، ذاعت له شهرة من خلال كتابته الطويلة للبرنامج الإذاعى الشهير « ألف ليلة وليلة » والأوبريت الإذاعية « رابعـة العدوية » التـى سكب فيها عصـارة شعره فى الحب الإلهى الذى ضمَّنه ديوانه « راهب الليل » .

وقد أصدر الشاعر ، قبل وفاته ، مصنفه « ألف يوم ويوم » بعد أن أصدر دراستـه الأدبية « الـذين أدركتهم حـرفة الأدب » عـن الشعراء والأدباء الـذين شقوا بحظـوظهم فى الحياة ، بـالإضافة إلى ديـوانيه الأخيرين : « الليالى » و « دموع لا تجف » .

يقول طاهر أبو فاشا :

غـريـبٌ على بـاب الـرجـاء طـريـحُ
ينـاديك موصـول الجوى وينـوحُ
يهون عذابُ الجسـم والروح سـالم
فكيـف وروح المستهـامِ جـروحُ
وليس الـذى يشكو الصبابة عـاشقًا
ومـا كُـلُّ بـاكٍ فى الغـرام قـريحُ
يقـولون لى غنـىِّ [1] وبالقلب لـوعةٌ
أُغنــّى بها فى خَلْـوَتى وأَنـوحُ
ولى فى طـريق الشـوقِ والليلُ هـائمٌ
معـالم تخفـى تـارةً وتلـوحُ
ولى فى مقـام الـوجـد حـالٌ ولـوعـةٌ
ودمـع أُدارِى فى الهوى ويبـوحُ
وأنت وجـودى فى شهودى وغيبتـى
وسرُّك نـور النـورِ أو هـو رُوحُ
ومـا دخلـتْ إلاَ إليـك مـواجـدى
وداعـى الهوى بـالـوالهين يصيـحُ
بسرِّ الهوى يغـدو وفيـه يـروحُ
غـريـبٌ على بـاب الـرجـاء طـريـحُ

* * *

( ١ ) الحديث على لسان رابعة العدوية فى الأوبريت الإذاعية التى تحمل إسمها .

حانـةُ الأقدار عـربدت فيهـا لياليهـا ودار النور
والهوى صاحى
هذه الأزهـار كيف تسقيها وساقيهـا بها مخمور
كيف يا صاح

ســألــتُ عــن الحبِّ أهــل الهوى
سُقـاة الــدمـوعِ نــدامَـى الجوى
فقــالــوا حنــانــكِ مـن شجْـوِهِ
ومـــن جـــدِّه بـــك أو لهوه
ومــن كَــدر الليــل أو صفـــوِهِ
سلى الطيرَ إن شئـتِ عـن شدْوِهِ
ففـــى شـدْوِهِ همســـاتُ الهوى
وبـــــرْح الحنينِ وشَرْحُ الجوى

❋ ❋ ❋

ورحــتُ إلى الطير ، اشكــو الجوى
وأســـألــــهُ سِرَّ ذاكَ الجوى
فقـــالَ حنـــانـــكِ مـــن جمْرِه
ومـن صحْـوِ ســاقيــه أو سُكْرِهِ
ومـــن نهيــهِ فيــك أو أمــْرِه
سلى الليــل إن شئــتِ عــن سرِّه
ففـــى الليـل يبعــثُ أهـلُ الهوى

❋ ❋ ❋

ولما طـوانــى الــدُّجــى والجوى
لقيــتُ الهوى وعــرفــتُ الهوى
ففــى حــانــة اللَّيــلْ خمَّارُهُ
وتحت خيــامِ الــدُّجـى نــارهُ
وفى كـــلِّ شــىءٍ يلــوحُ الهوى
ولكـــنْ لمن ذاقَ طَعــمَ الهوى

* * *

يا صُحبةَ الرَّاحِ : أهلُ الراح هل حانُوا
وهــل تغنــتْ على ألحانها الحانُ
صبـا النَّدامـى ومـا فى الحانِ ألحانُ
فى كأس عُمرى بقايا ، من يُشاربنى
ومـن يُطـارحنـى والعيـشُ ريْحانُ
ثُمالـةٌ مـن دمـوعِ الشجْـوِ ألـوانُ
إبـريقُهـا راح يبكى وهـو فـرحـانُ
ثُمالــةٌ ، آهِ لـو فــاضــتْ ، وآه إذا
غاضــتْ ، وواهًا لـها ، والقلبُ لهفانُ
عهـدى بها وكُؤوسُ الصَّفـوْ مُترعـةٌ
بهنَّ طـاف على السَّكـرى سُكيْرانُ
لا يشربُ الــراحَ ، إلا أنـه ثمــلٌ
نشــوانُ والكـأسُ فى كَفَّيْـهِ نشـوانُ
تُـرى تعـود الليــالى والهوى معنـا

يا غُربـةَ الكأسِ ، ما للكأسِ نـدْمانُ

* * *

عـرفتُ الـهوى ، مـنْذ عرفـتُ هواكـا
وأغلقــتُ قلبــيَ عمـّنْ ســواكــا
وقمـتُ أنــاجيـكَ ، يـا مـَنْ تـرى
خفـايــا القلـوب ولسْنــا نـراكــا
( أُحبــــك حُبّيْن : حــُـبَّ الهوى
وحُـبـًّا لأنــك أهـــلٌ لـــذاكــا )(١)
( فــأمـَّا الــذى هــو حــُبُّ الهوى
فشغلى بـذكـرك عمـَّنْ سـواكـا )
( وأمــَّا الــذى أنــت أهـلٌ لــه
فَكشفُـكَ لى الحُجْبَ حتـى أراكـا )
( فــلا الحمـــدُ فى ذا ولا ذاكَ لى
ولكــن لـك الحمـدُ فى ذا وذاكــا )
وأشتـاقُ شـوقيْن : شـوقَ النـَّوى
وشـوقًا لقـرْب الخُطـى من حماكـا
فـأمـا الـذى هـو شـوقُ النـَّوى
فَمسرى الـدمــوع لطـولِ نـَواكـا
وأمــا اشتيـاقــى بقـربِ الحمــى
فنــارُ حيـاةٍ خَبـتْ فى ضيــاكـا

---

( ١ ) الأبيات الأربعة التى بين الأقواس من شعر رابعة العدوية .

ولســتُ على الشَّجْوِ أشكــو الهوى
رضيــتُ بما شئـْتَ لى فى هــواكـا

* * *

لغيرك مـا مـددْتُ يـدا — وغيرُكَ لا يفيضُ نـدى
وليس يضيقُ بابُك بى — فكيف تـردُّ منْ قصـدا
وركْنُك لم يـزَلْ صمدا — فكيف تـذودُ من ورَدا
ولُطْفُكَ يا خفىَّ اللّطْفِ — إن عادى الـزمانِ عـدَا

* * *

على قلبى وَضعـْتُ يدا — ونحْوكَ قد مـددْتُ يدا
سَرى ليلى بغير هـُدًى — ولا أدرى لأىِّ مــدى
يُطاردنــى الأسى أبـدا — ويرعــانى الجوى أبـدا
وينشرنى الهوى رُوحًا — ويطوينــى الهوى جسَدا
وأطوى البيـدَ طاويـةً — كأنِّى فى الفضاءِ صدى
نهارى والـهجيرُ لظــىً — وليلى والظــلامُ ردَى
فـواكبـدا إذا أضحــى — وإن أُمسـى فـواكبـدا
وليـس سواكَ لى سَنـدٌ — فَقَـدْتُ الأهْلَ والسَّنـدا

* * *

على عيْنــى بكتْ عينــى — على روحى جنـَتْ رُوحى
هــواكَ وبُعْدُ مـا بينــى — وبينــك ،سرُّ تبريحى
صحا من شجوه كأسى — وقـد نـامَ الخليـّونـا

فكيف أفرُّ من نفسى ‏ إذا هام المحبونا
حيائى منك يبعُدنى ‏ وداعى الشوق يُدنينى
ووجهُ الصفحِ يُخجلنى ‏ ويقتلنى ويُحيينى
خلوت إليك ياربى ‏ وقلت عساك تقبلنى

مددت يدى
إليك ومنك يا ربَّاه
ومن طول النَّوى أوّاه

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

# الفهـــرس


هذا الكتاب ........................................ ٧
الرحلة فى بحار العشق ........................................ ١١
تعاظمنى ذنبى [ للإمام الشافعى ] ........................ ٧٣
هوانا حجازىٌّ [ لأبى حمزة الخراسانى ] ........................ ٧٧
غريب الدار [ للبرعى ] ........................................ ٨٣
نار ليلى [ للشهرزورى ] ........................................ ٩١
ته دلالاً [ لابن الفارض ] ........................................ ٩٥
مريضة الأجفان [ لابن عربى ] ........................................ ١٠٣
ربة السّتر [ للإمام الصرصرى ] ........................................ ١٠٩
وارحمتا للعاشقين [ للسهروردى ] ........................................ ١١٥
إلهى يا سميع [ لأحمد البدوى ] ........................................ ١٢١
سقانى محبوبى [ لإبراهيم الدسوقى ] ........................................ ١٢٧
فطرة النفس [ لأبى العباس المرسى ] ........................................ ١٣١
ظهرت لكل الكون [ لابن عطاء الله السكندرى ] ........................ ١٣٧
سُكْر المحبّة [ لابن أرقم النميرى الأندلسى ] ........................ ١٤٣
الملجأ الأحمى [ لابن الجيّاب الأندلسى ] ........................ ١٤٧
سلمى [ لليافعى ] ........................................ ١٥٣

المنبهجة [ لمصطفى البكرى ] .................................... ١٥٩
مالى سواك [ لأحمد الحلوانى ] .................................... ١٦٧
تعشقت نور الله [ للشيخ على عقل ] .................................... ١٧٣
موسيقى من الله [ للشاعر محمود حسن إسماعيل ] .............. ١٨١
على باب الرجاء [ شعر : طاهر أبو فاشا ] .................................... ١٨٧

رقم الإيداع : ٢٣٩٨ / ١٩٩١
الترقيم الدولى : ٦ ـ ٠٥١ ـ ٠٩ ـ ٩٧٧

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

مطابع الشروق
القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤
بيروت: ص . ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

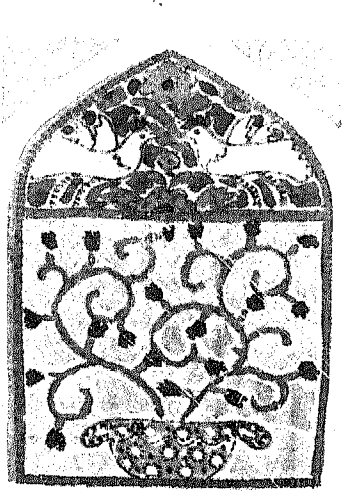

# أحلى عشرين قصيدة في الحب الإلهي

إذا كانت الحلقة الأولى فى هذه السلسلة قد توقفت عند تجربة الحب فى الشعر العربى ، وحملت عنوان «أحلى عشرين قصيدة حب » فى هذا الشعر، فإن هذه الحلقة الثانية تتقدم إلى ساحة أسمى من ساحات هذا الحب هى ساحة الحب الإلهى ، حيث فاضت وجدانات العشاق الكبار من الشعراء بأنغام وترانيم وألحان تطهروا بها ، وحلقوا من خلالها ، دُنوًّا واستشرافًا من الأفق الأعلى والأسمى ، حيث ينابيع الروحانية، والفيض الغامر ، وحيث تمتلئ النفوس بأقباس من النورانية وتفيض العيون بدموع الندم والخشية والتوبة ، وتعمر القلوب بوشائج المحبة الدائمة ، ومقامات العشق وأحواله ، وينسكب هذا كله فى النهاية شعرًا يفيض بالصدق ويعمر باليقين والمحبة والإيمان .

والأمل معقود أن تلقى هذه المختارات من شعر الحب الإلهى ما لقيته سابقتها لدى القراء من ذيوع وانتشار ، وأن يستجيب شعراؤنا ودارسونا للدعوة التى حملتها المختارات السابقة : أن يسهموا ويشاركوا فى هذا الميدان ، كل على حسب طاقته واستطاعته واهتماماته، فتعدد مجالات الاختيار، من خلال أذواق عدة ، من شأنه أن يؤدى فى النهاية إلى تكوّن الذوق الصحيح المدرب الذى يجيد الانتقاء والرؤية النافذة ، وينجح فى تقديم قراءة عصرية جديدة لكل ما يحمله التراث من كنوز ، بعد أن ينفض عنها غبار الإهمال والنسيان ، ويعيد إليها ماء الجدّة والحياة .

فإذا ما نجحت هذه المختارات فى تقريب المسافة بين القارئ المعاصر وتراث أمته الشعرى ـ قديمه وحديثه ـ وفتحت بابًا ولو يسيرًا لتذوق عصرى ، ترفده حساسية جديدة ، ووعى جديد، فإنها تكون قد شارفت الغاية، وأشارت إلى الطريق .

قرش جنيه
٨

© دار الشروق
القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ ٣٩٣٤٨١٤
بيروت: ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣